الإيجار القديم : برلمان يضع المجتمع على الحافة

إسرائيل قابلة للكسر قابلة للزوال 03

من غزة لطهران .. وسائل الإعلام ميدان قتال 05

شركات التكنولوجيا العملاقة تشارك فى «الإبادة الجماعية»

مكّنت شـركـات الـتـكـنـولـوجـيـا الأمـريـكـيـة العملاقة إسرائيل بهدوء من تتبع وقتل العديد من المقاومين بسرعة أكبر فى غزة ولبنان من خلال زيادة حادة فى خدمات الذكاء الاصطناعى والحوسبة. ولكن عدد القتلى المدنيين ارتفع أيضًا، إلى جانب المخاوف من أن هذه الأدوات تساهم فى مقتل الأبرياء.

وظفت الجيوش لسنوات شركات خاصة لبناء أسلحة ذاتية التشغيل مخصصة. ومع ذلك، تمثل حروب الكيان الصهيونى الأخيرة مثالًا رائدًا على استخدام نماذج الذكاء الاصطناعى التجارية فى حرب نشطة، على الرغم من المخاوف من أنها لم يتم تطويرها فى الأصل للمساعدة فى تحديد من يعيش ومن يموت.

يستخدم جيش الاحتلال الذكاء الاصطناعى لفحص كنوز هائلة من المعلومات الاستخباراتية، والاتصالات المعترضة، والمراقبة للعثور على كلام أو سلوك مشبوه ومعرفة تحركات أعدائه. بعد هجوم مفاجئ من قبل نشطاء حماس فى ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، ارتفع استخدامه لتكنولوجيا مايكروسوفت و OpenAI بشكل كبير.

وكشف تحقيق عن تفاصيل جديدة حول كيفية اختيار أنظمة الذكاء الاصطناعى للأهداف والطرق التى يمكن أن تسوء بها، بما فى ذلك البيانات الخاطئة أو الخوارزميات المعيبة. وقد استند إلى وثائق داخلية وبيانات ومقابلات حصرية مع مسؤولين إسرائيليين حاليين وسابقين وموظفى الشركة.

كان هدف إسرائيل بعد هجوم ٧ اكتوبر ٢٣ هو القضاء على حماس، وقد وصف جيش الاحتلال الذكاء الاصطناعى بأنه "مغير لقواعد اللعبة" فى تحقيق أهداف أسرع. منذ بدء الحرب، قُتل مايقرب من ٦٠،٠٠٠ شخص فى غزة ولبنان ودُمر ما يقرب من ٧٠٪ من المبانى فى غزة..

وقالت هايدى خلاف، كبيرة علماء الذكاء الاصطناعى فى معهد AI Now وكبيرة مهندسى السلامة السابقة فى OpenAI: "هذا هو أول تأكيد نحصل عليه على أن نماذج الذكاء الاصطناعى التجارية تُستخدم بشكل مباشر فى الحرب". "الآثار هائلة على دور التكنولوجيا فى تمكين هذا النوع من الحروب غير الأخلاقية وغير القانونية فى المستقبل."

من بين شركات التكنولوجيا الأمريكية، كانت لمايكروسوفت علاقة وثيقة بشكل خاص مع جيش الاحتلال امتدت لعقود.

وجد تحقيق AP أن استخدام الاحتلال للذكاء الاصطناعى من Microsoft و OpenAI ارتفع بشكل كبير فى مارس ٢٠٢٥ إلى ما يقرب من ٢٠٠ ضعف ما كان عليه قبل الأسبوع الذى سبق هجوم ٧ أكتوبر. تضاعفت كمية البيانات التى خزنها على خوادم Microsoft بين ذلك الوقت ويوليو ٢٠٢٤ إلى أكثر من ١٣,٦ بيتابايت – ما يقرب من ٣٥٠ ضعف الذاكرة الرقمية اللازمة لتخزين كل كتاب فى مكتبة الكونغرس. كما ارتفع استخدام جيش الاحتلال لبنوك ضخمة من خوادم الكمبيوتر من Microsoft بنسبة الثلثين تقريبًا فى الشهرين الأولين من الحرب وحدها.

رفضت Microsoft تقديم أى تعليق لهذه القصة ولم ترد على قائمة مفصلة بالأسئلة المكتوبة حول خدمات السحابة والذكاء الاصطناعى التى تقدمها للجيش الإسرائيلي.

يتم توفير نماذج الذكاء الاصطناعى المتقدمة من خلال OpenAI، الشركة المصنعة لـ ChatGPT، عبر منصة Microsoft Azure السحابية، حيث يتم شراؤها من قبل جيش الاحتلال، حسبما تظهر الوثائق والبيانات. كانت Microsoft أكبر مستثمر فى OpenAI.

قالت OpenAI إنه ليس لديها شراكة مع الجيش الإسرائيلي، وتقول سياسات الاستخدام الخاصة بها إنه لا ينبغى لعملائها استخدام منتجاتها لتطوير أسلحة أو تدمير ممتلكات أو إيذاء الناس. ومع ذلك، قبل حوالى عام، غيرت OpenAI شروط الاستخدام الخاصة بها من حظر الاستخدام العسكرى إلى السماح "بحالات استخدام الأمن القومى التى تتماشى مع مهمتنا".



نماذج ذكاء اصطناعى لجيش الاحتلال تعظم دور التكنولوجيا فى الحرب على غزة ولبنان

رفض جيش الاحتلال الإجابة على أسئلة مكتوبة مفصلة من وكالة أسوشيتد برس حول استخدامه لمنتجات الذكاء الاصطناعى التجارية من شركات التكنولوجيا الأمريكية، وقال: "هذه الأدوات التى تعمل بالذكاء الاصطناعى تجعل عملية الاستخبارات أكثر دقة وفعالية". "إنهم يصنعون المزيد من الأهداف بشكل أسرع، ولكن ليس على حساب الدقة، وفى كثير من الأحيان فى هذه الحرب تمكنوا من تقليل الإصابات فى صفوف المدنيين."

توفر Google و Amazon خدمات الحوسبة السحابية والذكاء الاصطناعى للجيش الإسرائيلى بموجب "Project Nimbus"، وهو عقد بقيمة ١,٢ مليار دولار تم توقيعه فى عام ٢٠٢١، عندما اختبرت إسرائيل لأول مرة أنظمة الاستهداف الداخلية التى تعمل بالذكاء الاصطناعي. استخدم جيش الاحتلال مزارع خوادم أو مراكز بيانات Cisco و Dell. قدمت Red Hat، وهى شركة تابعة مستقلة لشركة IBM، أيضًا تقنيات الحوسبة السحابية للجيش الإسرائيلي، فى حين أن Palantir Technologies، وهى شريك لشركة Microsoft فى عقود الدفاع الأمريكية، لديها "شراكة استراتيجية" توفر أنظمة ذكاء اصطناعى للمساعدة فى جهود إسرائيل الحربية.

بعد أن غيرت OpenAI شروط الاستخدام الخاصة بها العام الماضى للسماح بأغراض الأمن القومي، حذت Google حذوها فى وقت سابق من هذا الشهر.

يستخدم جيش الاحتلال Microsoft Azure لتجميع المعلومات التى يتم جمعها من خلال المراقبة الجماعية، والتى يقوم بنسخها وترجمتها، بما فى ذلك المكالمات الهاتفية والنصوص والرسائل الصوتية، وفقًا لضابط مخابرات إسرائيلى يعمل مع الأنظمة. يمكن بعد ذلك التحقق من هذه البيانات مع أنظمة الاستهداف الداخلية الخاصة بإسرائيل والعكس صحيح.

وقال إنه يعتمد على Azure للبحث بسرعة عن المصطلحات والأنماط داخل كنوز نصية ضخمة، مثل العثور على محادثات بين شخصين ضمن مستند مكون من ٥٠ صفحة. يمكن لـ Azure أيضًا العثور على أشخاص يقدمون توجيهات لبعضهم البعض فى النص، والتى يمكن بعد ذلك الرجوع إليها مع أنظمة الذكاء الاصطناعى الخاصة بالجيش لتحديد المواقع.

تُظهر بيانات Microsoft التى استعرضتها AP أنه منذ هجوم ٧ أكتوبر، استخدم الجيش الإسرائيلى بكثافة أدوات النسخ والترجمة ونماذج OpenAI، على الرغم من أنها لا تفصل أيها. عادة، تعمل نماذج الذكاء الاصطناعى التى تقوم بالنسخ والترجمة بشكل أفضل باللغة الإنجليزية. أقرت OpenAI بأن نموذج الترجمة الشهير الذى يعمل بالذكاء الاصطناعى Whisper، والذى يمكنه النسخ والترجمة إلى لغات متعددة بما فى ذلك العربية، يمكن أن يختلق نصًا لم يقله أحد، بما فى ذلك إضافة تعليقات عنصرية وخطاب عنيف.

قال ضباط فى الجيش الإسرائيلى عملوا مع أنظمة الاستهداف وخبراء تقنيون آخرون إن الأخطاء يمكن أن تحدث لأسباب عديدة تتعلق بالذكاء الاصطناعي. تتضمن المكالمات الهاتفية التى تم اعتراضها والمرتبطة بملف تعريف الشخص وقت اتصال الشخص وأسماء وأرقام المتصلين. ولكن الأمر يتطلب خطوة إضافية للاستماع إلى الصوت الأصلى والتحقق منه، أو لمشاهدة نسخة مترجمة.

يقول الجيش الإسرائيلى إنه من المفترض أن يتحقق شخص يعرف اللغة العربية من الترجمات. ومع ذلك، قال أحد ضباط المخابرات إنه رأى أخطاء فى الاستهداف اعتمدت على ترجمات آلية غير صحيحة من العربية إلى العبرية.

وكالات الأنباء

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

مجدى شندى

الموقع الإلكترونى

www.elmashhad.online

العدد 340 -السنة الرابعة عشرة-

الثلاثاء 15 يوليو 2025 م

الموافق 20 محرم 1447 هـ

12 صفحة - الثمن : 5 جنيهات

المشهد

لا سقف للحرية

اللغز: لماذا يربط المحيطون به الحادث بالانتخابات المقبلة؟

مقتل النائب السابق عبدالحميد الشيخ يفجر جدلا

فجر مقتل النائب البرلمانى السابق عبد الحميد الشيخ (يوم ١٠ يوليو الجاري) جدلًا مكتوما بين أهالى دائرته ، فمنذ لحظة الإعلان عنه اعتبره البعض شهيدا ودعا آخرون أبناء الدائرة إلى مقاطعة الانتخابات المقبلة (ترشحا وتصويتا!) فى إشارة خفية إلى صراع انتخابى قد يكون الراحل ضحيته، بينما تسببت أقول أدلت بها زوجته الدكتورة دعاء حسين فى اشتعال جدل معلن بين المسؤول عن إصدار بيانات وزارة الداخلية وهيئة الدفاع عن أسرة البرلمانى الراحل برئاسة المحامى طارق العوضي، حيث نفى بيان منسوب لهيئة الدفاع تلميحات وردت فى بيان الوزارة، تفيد شبهة إقدام النائب على الانتحار. ورغم أن حوادث قتل تحدث بشكل شبه يومي، إلا أنه من النادر أن يحدث مثل هذا الجدل .. المشهد تتعامل مع قمة جبل الجليد الظاهرة وتنتظر تحقيقات النيابة علها تسهم فى حل اللغز.



من هو؟

الدكتور عبد الحميد الشيخ هو عضو مجلس النواب السابق عن دائرة تلا والشهداء بمحافظة المنوفية، والأمين المساعد الحالى لحزب حماة الوطن بالمحافظة. ورغم أنه لم يحالفه الحظ فى آخر انتخابات أجريت بالاستمرار تحت قبة البرلمان، لكنه كان متواجدا دائما بين أبناء دائرته بأعماله المجتمعية وظل يتمتع بحب وتقدير بين أهالى دائرته، وتسبب إعلان وفاته فى حالة من الحزن خيمت على محافظة المنوفية.

سارت الأمور بعد إعلان مقتله بشكل شبه عادى لكن تصريحات لزوجته الدكتورة دعاء حسين سلطت الضوء على اللحظات الأخيرة فى حياته وأحدثت الجدل، قالت الزوجة (التى يبدو أنها تقيم بالخارج) أنها تحدثت لأخر مرة معه فى الثانية صباح (الثلاثاء) يوم الحادث وأن حالته كانت جيدة جدًا.

وتضيف: «كلّمنى أنا والأولاد فى اليوم السابق على الحادث (الإثنين ظهرا)، يطمئن على حالنا، ثم أنهى المكالمة واتصل بمحمد، ابننا الكبير، على انفراد. وفى آخر المكالمة قال لي: خلى بالك من ماما وإخواتك، انت راجل البيت من بعدي.» شعرت بقلق، واتصلت به كثيرًا لم يُجب حتى الساعة ٢ صباحًا، وجدتُه يتصل بي، على غير عادته. سأل عنّا وعن أحوالنا، ثم قال لي: خلى بالك على نفسك وعلى الولاد. وعندما سألته: «لماذا تقول هذا؟» قال لى بالحرف: اسمعى الكلام، خلى بالك على نفسك وعلى الولاد. ثم أنهى المكالمة.

وحين سئلت هل كانت هناك أى خلافات أو تهديدات تعرّض لها قبل الحادث؟ قالت: لا أدرى إن كان قد تلقى تهديدات مؤخرًا أم لا، فهو كان يخاف علينا، ولم يكن يذكر مثل هذه الأمور أمامنا. لكنه بالفعل تلقى تهديدات منذ فترة، وحين علمت أن الوفاة كانت بسبب ٧ طعنات، تذكرت حديثًا قديمًا له معى قال فيه: «عايزين يزيحونى من طريقهم.» وقد ذكرت ذلك فى تحقيقات النيابة. مؤكدة أنه كان ينوى الترشح لانتخابات مجلس النواب ، وكان يجهز نفسه لذلك. وعن فكرة معاناته من مرض نفسى جعلته يقدم على الانتحار قالت: «شائعة مغرضة روّجها البعض للتأثير على تحريات المباحث وترسيخ الفكرة فى عقول الناس، لدرجة أنهم كانوا يتنقّلون فى العزاء مثل الكلاب الضالة لينشروا فكرتهم القذرة هذه». وتضيف : «فى العيد لف البلد كلها وعيّد على الناس وكان مقبل على الحياة وبيجهز البيت من جديد عشان الانتخابات لدرجة شال الستاير واتفق على جديدة واتفق يدهن الجدران، كيف لهذه الشخصية أن تنتحر؟!

جدل الداخلية وهيئة الدفاع

وزارة الداخلية أصدرت بيانًا نشر على صفحاتها بمواقع التواصل فى ١٣ يوليو الجاري، قالت فيه: «فى إطار ما تم تداوله بشأن تشكك زوجة برلمانى سابق فى ملابسات وفاة زوجها بالمنوفية.. بالفحص تبين أنه بتاريخ ١٠ يونيو الماضي، تبلغ لمركز شرطة تلا بالمنوفية بوفاة المواطن المذكور، وبجثمانه آثار جروح نافذة.. بالانتقال وسؤال نجلى عمومته، قررا أن المذكور يقيم بمفرده بمسكنه فى الفترة الحالية، ولعدم استجابته لاتصالاتهما قاما بالتوجه لمسكنه وكسرا باب الشقة بالإستعانة بأحد النجارين، حيث اكتشفا وفاته وبجواره أداة تستخدم فى إعداد الطعام «مقوار معدني»، ورجحا انتحاره لسوء حالته النفسية، ولم يتهما أو يشتبها فى وفاته جنائيًا.. وأشارت التحريات المبدئية إلى أن المذكور كان يعانى من مرض نفسي، ويتلقى أدوية مضادة للاكتئاب (تم العثور عليها بمحل البلاغ).. فضلًا عن وجود جميع متعلقاته الشخصية، وسلامة جميع أبواب ومنافذ الشقة، كما تم العثور على خطاب من (٨) صفحات، يشير مضمونه إلى إقدامه على الانتحار. وبمناظرة الجثمان تبين وجود جروح قد لا يؤدى بعضها للوفاة. تم اتخاذ الإجراءات القانونية، وبالعرض على النيابة العامة قررت انتداب الطبيب الشرعى لإجراء الصفة التشريحية للجثمان، وتباشر النيابة العامة التحقيقات، وجارى استكمال التحريات فى ضوء نتائج فحص الطب الشرعي».

بيان الداخلية الذى يشير إلى شبهة انتحار استفز هيئة الدفاع عن النائب الراحل، فردت ببيان بعنوان: «حين يتهم المقوار.. وتغتال الحقيقة»، قالت فيه، إن ما تضمنه بيان الداخلية من سرد جزئى ومجتزأ لملابسات الوفاة، «لا يرتقى إلى مستوى الحياد والشفافية التى تتطلبها خطورة الواقعة»، معربة عن الدهشة من الأسلوب الذى صيغ به البيان، «لاسيما محاولته المبكرة لحسم سبب الوفاة، وربطه بحالة نفسية وانتحار مزعوم».

وقالت هيئة الدفاع، إن وصف أداة الوفاة بأنها "مقوار"، «مستفزة وتتنافى مع أبسط قواعد التحقيق الجنائي»، ولا تفسر تعدد الإصابات الظاهرة على جسد الضحية، وتساءلت كيف يمكن تفسير آثار ضرب وكدمات وجروح قطعية، فضلًا عن علامات اختناق واضحة حول الرقبة؟ وهى تُظهر بجلاء أن الضحية تعرض لعنف بدنى بالغ، لا يمكن بأى حال تبريره أو التهوين من شأنه.

وأضاف بيان هيئة الدفاع: «إن المجنى عليه كان طبيبًا، وعلى دراية تامة بالوسائل الطبية والعلمية كافة التى يمكن – نظريًا – استخدامها لإنهاء الحياة، إذا ما كانت النوايا قد توفرت لديه للقيام بذلك. و اختيار "المقوار" كأداة للانتحار، يتجاهل المنطق والعقل والخبرة الطبية، ويُناقض تمامًا تكوينه العلمي، ويجعل فرضية الانتحار أكثر ضعفًا وهشاشة.. فهل يُعقل أن يلجأ طبيب إلى وسيلة شاقة وغير فعالة، فى وجود وسائل أكثر مباشرة وسرية؟!

وأكدت هيئة الدفاع عن النائب أنها «ستقدم للنيابة العامة وللرأى العام مستندات موثقة، وإفادات شهود، تدحض بشكل لا لبس فيه الرواية التى يتم محاولة تسويقها، وتكشف عن وقائع صادمة، تؤكد أن ما حدث لا يمكن اختزاله فى مجرد "حالة انتحار". كما طالب بإسناد مهمة استكمال التحريات وأعمال البحث فى هذه القضية إلى فريق متخصص من قطاع الأمن العام بوزارة الداخلية؛ نظرًا لما أحيط بالتحقيقات الأولية من غموض وتساهل، مع التأكيد على ضرورة إصدار التقرير الطبى النهائى بواسطة لجنة ثلاثية من كبار أساتذة الطب الشرعي، على أن تكون مستقلة تمامًا، وتضم أطباء مشهود لهم بالكفاءة والخبرة والنزاهة، لضمان الوصول إلى حقيقة الأسباب الطبية المباشرة للوفاة، بعيدًا عن أى ضغوط أو تأثيرات او روايات محليه تم تسويقها.

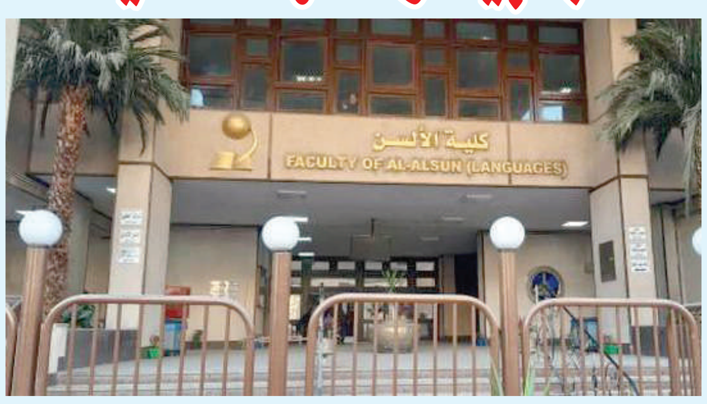
ماذا وراء الأكمة؟ التحقيقات كفيلة بإيضاح الحقيقة.



زوجته تتحدث عن تهديدات وبيان الداخلية يرجح الانتحار والعوضى يطالب بتحقيقات نزيهة وشفافة

تقرير – هيباتيا موسى

لمن تكتب أقسام وكليات اللغات الأجنبية رسائلها العلمية؟



لمن تكتب أقسام وكليات اللغات الأجنبية رسائلها في مصر؟ سؤال لا يبرح أن يطل على ذهني كلما ذهبت إلى أي مكتبات الجامعات المصرية، أكثر هذه الأقسام، وما أكثر اللغات التي تُدرَّس فيها، ومنها لغات لا أطمح حتى إلى تعلمها، لا كسلًا، بل لأن العمر أضيق من أن يتّسع لكل ما يشتهيه العقل.

ستتفاجأ في هذه المكتبات أن الذين يعدون رسائلهم العلمية في اللغة الصينية، اليابانية، العبرية ...إلخ يكتبون رسائلهم العلمية بهذه اللغات، فلمن يا ترى يكتبون هذه الرسائل العلمية ومن سيقرأها؟! هل أهل هذه اللغات التي هم بالتأكيد لن يهتموا بدراسة غريب لأدبهم أو تراثهم إلا في ظروف خاصة، ليطرح ذلك سؤالًا آخر: أليس الأولى أن تُتاح هذه الرسائل باللغة العربية، ليقرأها جمهورنا العربي الذي هو في أمسّ الحاجة للتعرّف على ثقافات هذه الشعوب وآدابها؟ بدلًا من أن تبقى هذه الرسائل حبيسة الأرفف، تأكلها الأتربة دون أن تترك أثرًا.

التقيت بعدد لا بأس به من المستشرقين، يعدون رسائلهم عن الأدب والثقافة العربية فهل تعلم بأي لغة يكتبون رسائلهم؟ هل تعتقد أنها باللغة العربية؟! لا بل بلغتهم الأصلية، يقرأون ويمحصون المصادر بالعربية لكن حين يكتبون رسائلهم تكون بلغتهم الأصلية.

ذات مرة ألتقيت مستعربًا يابانيًا أعد رسالتيه للماجستير والدكتوراة عن نجيب محفوظ، فسألته أن ينشرها في مصر، فرد علي:«أظنها لن تكون ذات قيمة كبيرة للقارئ العربية خاصة وأن بها الكثير من الهوامش التي تهدف إلى تعريف القارئ الياباني طبيعة الثقافة التي يكتب عنها نجيب، وكل ما هو غير مألوف للقارئ الياباني»، فقلت له لا بأس من نشرها بالعربية لنرى كيف رأيت إبداع نجيب محفوظ يابانيًا، فقال لي «إذن أنا بحاجة إلى ترجمتها العربية أولًا وتخليصها من الزوائد الموجهة إلى القارئ الياباني؛ لكني لا أظن أنها ستقدم جديدًا للقارئ العربي».

أرأيت كان هدف الرسالة خدمة الأدب والثقافة اليابانية؟ فهي أطروحة موجهة بالأساس إلى القارئ الياباني لذا كتبت باليابانية ولم يكتبها بالعربية، وبالمناسبة هو مستعرب يجيد العربية فصحى وعامية وصاحب طلاقة في الحديث، وله باع طويل مع العربية من المحيط إلى الخليج.

التقيت على مقهى زهرة البستان بوسط البلد بمستشرقة أمريكية أعدت رسالتها للماجستير عن المجلات التي أصدرها شعراء التسعينيات، ونالت بها درجة الماجستير من الجامعة الأمريكية بالقاهرة. هل تعلم بأي لغة كتبت الرسالة طبعًا باللغة الإنجليزية، وهذا هو السائد في كل جامعات العالم تقريبًا إلا عندنا.

علمًا بأن أيا من الطلاب الذين يكتبون هذه الرسائل بلغة غير لغتهم الأصلية لن تبلغ إجادتهم للغة الجديدة درجة الجودة التي تجعلهم يعبرون عما يجيش في عقولهم من أفكار، لذا يذهبون للتبسيط لأن معينهم اللغوي لن يساعدهم عن التعبير عن أفكارهم باللغة المكتسبة.

ليبقى السؤال قائمًا: لماذا لا تُكتب هذه الرسائل بالعربية؟ لماذا تُغلق أبواب المعرفة في وجه القارئ العربي وتُمنح بلغة لا يقرؤها، ولا تعبّر عنه؟ بل يُستدعى من هذا سؤال آخر أكثر إلحاحًا: ما جدوى هذه الأقسام الأكاديمية وما تنتجه من رسائل علمية إن لم تكن موجهة إلى الداخل؟ إذا لم تخاطب ثقافتنا، ولم تُسهم في وعي مجتمعنا، فعلام ننجزها؟ ولمن؟.

د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 340 – السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 15 يوليو 2025 م الموافق 20 محرم 1447 هـ

قالت العرب

"لا أحنُ إلى أي شيء
فلا أمس يمضي ولا الغد يأتي
ولا حاضري يتقدَّم / لا شيء يحدث لي!
ليتني حجر"
محمود درويش (1941 – 2008)

تسرع وبيانات غائبة ومخاوف من وعود « لا تصدق » فى تعديلات قانون الإيجار القديم

البرلمان يضع المجتمع على الحافة



فى قلب المدن المصرية، حيث تتشابك حكايات الأحياء القديمة مع صخب الحياة اليومية، يظل الإيجار القديم لغزًا يثير الجدل ويؤجج الصراعات بين الملاك والمستأجرين ، حتى بعد إقرار قانون جديد الأربعاء الماضى من مجلس النواب هذا القانون، الذى ولد فى زمن مضى لتوفير الحماية الاجتماعية، تحول مع الوقت إلى ساحة نزاع معقدة، تتقاطع فيها الحقوق القانونية مع التحديات الاقتصادية والإنسانية بين قصص عائلات تمسكت بمساكنها لعقود بإيجارات زهيدة، وملاك يرون فى ممتلكاتهم حقًا مهدورًا، يبرز السؤال: هل يمكن تحقيق التوازن بين العدالة الاجتماعية وحقوق الملكية؟ فى هذا التحقيق، نغوص فى أعماق هذا الملف الشائك، نستمع إلى أصوات الأطراف المعنية، ونستعرض التحديات والحلول المقترحة لرسم صورة شاملة لهذا الصراع الذى يمس شريحة واسعة من المجتمع المصري.

سؤال الساعة: هل تستطيع الحكومة توفير بدائل منصفة للمستأجرين تراعى ظروفهم الاجتماعية

العديد من المواطنين على أمل ان يكون مجلس النواب هو صوتهم أمام الحكومة لحل تلك الأزمة لكن فوجئوا أن مجلس النواب وجد نفسه فى مأزق بسبب الحكومة حيث انها ليست هذه المرة الأولى التى تقدم فيها الحكومة مشروعات قوانين إلى المجلس دون إجراء الحوارات المجتمعية اللازمة أو دراستها بدقة

والدليل على ذلك قول المستشار الدكتور حنفى جبالي، رئيس مجلس النواب، أن المناقشات التى جرت حول مشروع الايجارات القديمه أظهرت بوضوح أن الحكومة جاءت إلى البرلمان غير مستعدة، وتنقصها بعض البيانات والإحصاءات المهمة وأنها ليست المرة الأولى، حيث سبق للحكومة أن أحالت مشروعات قوانين عديدة إلى المجلس دون أن تكون قد أجرت الحوارات المجتمعية اللازمة أو درستها بدقة»

ومع ذلك وافق المجلس على مشروع القانون الذى ينص القانون على انتهاء عقود الإيجار السكنية بعد ٧ سنوات وعقود الأماكن غير السكنية للأشخاص الطبيعيين بعد ٥ سنوات من تاريخ العمل به، مع إمكانية الإنهاء بالتراضى قبل ذلك.

وحدد القانون زيادة فى القيمة الإيجارية، حيث تصبح الأماكن السكنية فى المناطق المتميزة ٢٠ مثل القيمة الحالية (بحد أدنى ١٠٠٠ جنيه)، وفى المناطق المتوسطة والاقتصادية ١٠ أمثال القيمة الحالية (بحد أدنى ٤٠٠ جنيه و٢٥٠ جنيه على التوالي)، بينما تكون الأماكن غير السكنية ٥ أمثال القيمة الحالية، مع زيادة سنوية دورية بنسبة ١٥٪. على أن تشكل لجان حصر بقرار من المحافظ لتقسيم المناطق إلى متميزة ومتوسطة واقتصادية بناءً على معايير مثل الموقع الجغرافي، مستوى البناء، المرافق، الخدمات، والقيمة الإيجارية السنوية، على أن تنتهى اللجان من عملها خلال ٣ أشهر قابلة للتمديد. ويلتزم المستأجر بالإخلاء بنهاية المدة المحددة أو فى حال ترك المكان مغلقًا لأكثر من سنة دون مبرر أو امتلاكه وحدة صالحة لنفس الغرض، ويمكن للمالك طلب أمر طرد من قاضى الأمور الوقتية فى حالة الامتناع.

ويحق للمستأجر طلب وحدة سكنية أو غير سكنية من الدولة (إيجارًا أو تمليكًا) مع إقرار بالإخلاء فور التخصيص، مع إعطاء الأولوية للفئات الأولى بالرعاية مثل المستأجر الأصلى وزوجه ووالديه، ويصدر مجلس الوزراء قرارًا خلال ٣٠ يومًا بقواعد التخصيص

إيهاب منصور: تم بشكل متعجل

فى البداية اكد النائب إيهاب منصور، رئيس الهيئة البرلمانية للحزب المصرى الديمقراطى الاجتماعي، حول قانون الإيجار القديم، على أن هذا القانون يحتوى على مواد ظالمة لكل من الملاك والمستأجرين، مشدداً على أنه كان يجب إدخال تعديلات تحقق توازناً عادلاً بين الطرفين، حيث إن القانون معقد وكان يتطلب دراسة دقيقة

وأوضح منصور أن طرح مشروع القانون تم بشكل متعجل، وافتقر إلى بيانات دقيقة ودراسة معمقة ومعلومات محدثة من الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء عن العقارات والفئات المتأثرة لضمان عدالة التشريع. فليست هناك بيانات دقيقة بعدد المستأجرين والأجيال المتأثرة، والبيانات المقدمة تعود لثمانى سنوات، مما يجعلها غير كافية لسن تشريع عادل.



وعارض منصور فكرة طرد المستأجرين بعد سبعٍ سنوات وخمس سنوات، معتبراً أنها تمثل ظلماً لفئة واسعة من المواطنين، خاصة الفئات الضعيفة مثل أصحاب المعاشات ومحدودى الدخل، واقترح دعم هذه الفئات من خلال توفير وحدات سكنية تابعة للإسكان الاجتماعى أو دعم مادى وهو ما حاول التشريع مراعاته.

ولم يكن النائب مع تأجيل القانون ، لأن ذلك سيؤدى إلى تفاقم النزاعات بين الملاك والمستأجرين، مما سيؤدى إلى اكتظاظ المحاكم بالدعاوى القضائية، فالتأخير لا يخدم أى طرف. واقترح منصور حصر الوحدات السكنية المؤجرة لتحديد غير القادرين على دفع الإيجارات المضاعفة، مثل أصحاب معاشات تكافل وكرامة والعمالة غير المنتظمة، مع توفير دعم حكومى لهم كما اقترح فترة انتقالية لتعديلات القانون لتجنب الصدمات الاجتماعية، مشيرا إلى أن الملاك عانوا من ظلم بسبب الأجور المنخفضة لعقود الإيجار القديم، وأكد منصور أن الدولة هى المسؤولة عن أزمة الإيجار القديم، وليس المالك أو المستأجر، وطالب بتحمل الدولة مسؤوليتها فى إيجاد حلول عادلة تحافظ على الاستقرار الاجتماعي.

ضياء الدين داوود: ترك المستأجرين فى انتظار الموت

رفض النائب ضياء الدين داوود مشروع قانون الإيجار القديم الذى تم إقراره، معتبرا أن الحكومة تلعب بالنار وتتجرأ على الشعب المصرى ووصف الجلسة البرلمانية لمناقشة القانون بأنها تاريخية يتحمل فيها كل نائب مسؤوليته أمام الله والشعب ، وأكد أن الفترة الانتقالية المقترحة لمدة سبع سنوات تعنى ترك المستأجرين فى انتظار الموت مشيرا إلى أن الطبقة المتوسطة التى سندت مصر لا تجد بديلا حقيقيا كما تدعى الحكومة، وأضاف أن الحكومة تدعى انتهاء الظروف الاستثنائية لتبرير إنهاء العلاقة الإيجارية لكنها فشلت فى تقديم بيانات دقيقة أو بدائل سكنية واضحة ، وقال إن رئيس الوزراء لم يحضر الجلسات منذ عرض برنامج الحكومة معتبرا ذلك تجاهلا للبرلمان فى قضية تمس ملايين المصريين وتهدد السلم الاجتماعى وأشار إلى أن القوانين المنظمة للإيجار القديم لم تكن مرتبطة بثورة ١٩٥٢ بل صدرت فى ظروف استثنائية منذ عام ١٩٢٠ مؤكدا أن التدخل التشريعى جاء لحماية المجتمع فى أوقات الأزمات، وانتقد داوود إجراءات مناقشة القانون مشيرا إلى أن النواب لم يتسلموا نسخة رسمية من مشروع القانون بل تلقوا نسخة بصيغة PDF غير معتمدة ووصف ذلك بأنه لا يليق بمجلس النواب خاصة فى مناقشة قانون بهذه الأهمية، وأبدى اعتراضه على تصريحات النائب محمود الصعيدى بشأن توفير شقق فى كمبوندات للمستأجرين معتبرا أن هذه الوعود غير واقعية وتفتقر إلى آليات تنفيذ واضحة، وأكد أن مشروع القانون كان يشكل سابقة فى تنازع أحكام المحكمة الدستورية واحتاج إلى إعادة دراسة شاملة لتجنب إلحاق الضرر بالمواطنين وتمنى لو انحازت الأغلبية فى البرلمان للاستقرار الاجتماعي، وحذر من أن القانون فى صيغته الحالية يهدد السلم المجتمعى ويمثل خداعا للمواطنين بوعود بديلة غير موجودة فعليا

محمود البرعي: ملاك يستحقون الزكاة

النائب محمود البرعى عضو مجلس النواب وافق على القانون، لكنه طالب باستثناء المستأجرين الذين تجاوزوا سن السبعين من الإخلاء قائلا إن هؤلاء يجب أن يظلوا فى مساكنهم حتى أجل ربنا، وأشار إلى معاناة بعض الملاك مؤكدا أن هناك ملاك عقارات يستحقون الزكاة ويعانون من عدم القدرة على تحمل تكاليف حياتهم أو تزويج أبنائهم بسبب الأجور المنخفضة للإيجارات القديمة وأكد أن القضية تمثل مسألة أمن قومى وسلم مجتمعى داعيا إلى التعامل معها بحكمة وتوازن بين حقوق الملاك والمستأجرين لتجنب أى تداعيات اجتماعية وشدد على ضرورة أن تكون الحلول عادلة بحيث لا تنحاز لطرف على حساب الآخر مشيرا إلى أن الحكومة قدمت مشروع القانون دون خطة تنفيذية واضحة أو آليات للتعامل مع تبعاته مما يثير القلق خاصة فى ظل تجارب سابقة غير مطمئنة مثل قانون التصالح.





أحمد قورة: الوضع لم يكن عادلا

النائب أحمد قورة عضو مجلس النواب يؤكد أن الإيجار القديم بصورته السابقة يتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية واستند فى موقفه إلى فتاوى علماء الأزهر الشريف وعلى رأسهم الدكتور نصر فريد واصل الذين أكدوا أن القانون القديم يخالف الشريعة وأشار إلى أن الهدف من تعديل القانون هو رفع الظلم عن الملاك الذين عانوا من تدنى القيمة الإيجارية مقارنة بمعدلات التضخم وزيادة الأسعار وأكد أن هناك حوالى ٣ ملايين و٢٠ ألف وحدة مؤجرة منها أكثر من مليون وحدة مغلقة دون استغلال مما يمثل إهدارا للثروة العقارية، وقال إنه ليس من الطبيعى أن يمتلك المستأجر شقة فى كمبوند بمدينة جديدة ويحتفظ بوحدة إيجار قديم فى مناطق راقية مثل الزمالك أو وسط البلد أو جاردن سيتى مشددا على ضرورة إعادة الحق للمالك وزيادة القيمة الإيجارية بما يتناسب مع موقع الوحدة وأوضح أن تأخير إصلاح القانون زاد من تعقيد الأزمة خاصة أنه لم يعد مناسبا لطبيعة الحياة الحالية.

أحمد الشرقاوي: بدائل غائبة أو غير موثوقة

النائب أحمد الشرقاوى أعلن رفضه القاطع لتعديلات مشروع القانون الذى جرى إقراره، معتبرا أن القانون يمثل استبدال قانون استثنائى قديم بآخر جديد يحرم المستأجرين من الأمن السكنى وهاجم غياب رئيس الوزراء مصطفى مدبولى عن الجلسات البرلمانية قائلا "إزاى رئيس الوزراء غائب عن مناقشات بهذا الحجم ولا يرد على استفسارات النواب فى قضية تمس ملايين المصريين" وأكد أن تمرير القانون كان يتطلب بيانات دقيقة وشفافة مشيرا إلى أن بيانات الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء غير دقيقة وغير علمية خاصة فى اعتبار المستأجر فوق سن الستين مستأجرا أصليا

وأضاف أن الحكومة تدعى توفير وحدات سكنية بديلة لكنها لم تبدأ فى بنائها مما يهدد مصير نصف مليون أسرة وطالب بضرورة حماية المستأجرين الأصليين لأسباب قانونية وإنسانية، مؤكدا أن العقد شريعة المتعاقدين ولا يجوز إنهاء العلاقة الإيجارية دون ضمانات سكنية ، وحذر من التداعيات الاجتماعية لتطبيق القانون دون خطة تنفيذية واضحة مؤكدا أن الأمن السكنى أولوية قصوى وأن الحكومة تتحمل مسؤولية حماية المستأجرين وأعرب عن استيائه من نقص البيانات قائلا إنها غير كافية لاتخاذ قرارات مصيرية وكان على البرلمان أن يضمن توازنا عادلا بين الملاك والمستأجرين دون إلحاق الضرر بأى طرف ، مشيرا إلى أن الحكومة لم تقدم أى ضمانات حقيقية لتوفير بدائل سكنية قبل إنهاء العلاقات الإيجارية.

ميشيل حليم: يمثل خطرا اجتماعيا

من جانبه أكد المستشار ميشيل حليم المستشار القانونى لرابطة المستأجرين أن مشروع القانون الذى وافق عليه مجلس النواب يمثل خطرًا اجتماعيًا كبيرًا ويهدد استقرار ملايين الأسر المصرية التى تعتمد على الوحدات السكنية والتجارية الخاضعة للقانون وطالب فى وقت سابق بتشكيل لجنة وطنية تضم ممثلين عن المستأجرين والملاك وخبراء اقتصاديين واجتماعيين لوضع حلول عادلة تحفظ الاستقرار المجتمعى وتحمى حق السكن وأشار إلى أن الدستور المصرى نص صراحة على حماية محدودى الدخل متسائلاً كيف يمكن طرد من عاش فى شقة لمدة ٤٠ عامًا دون توفير بديل لائق وأضاف أن مصر تمر بظروف اقتصادية استثنائية تستدعى التكاتف وتجنب إثارة المشكلات التى تزيد الاحتقان المجتمعى

وكشف أن بعض النواب الذين شاركوا فى صياغة مشروع القانون لهم مصالح شخصية كملاك عقارات إيجار قديم وهو ما يتعارض مع اللائحة الداخلية للمجلس التى تمنع مشاركة أى نائب له مصلحة شخصية فى مناقشة القانون

وأكد أن حكم المحكمة الدستورية العليا لم يتعرض لفكرة إخلاء المستأجرين بل ركز على عدم دستورية تثبيت القيمة الإيجارية وكان من الأجدر تعديل القانون لتحقيق توازن بين المالك والمستأجر دون المساس بحق الامتداد القانوني.

رئيس ائتلاف ملاك العقارات القديمة:

أكد مصطفى عبدالرحمن رئيس ائتلاف ملاك العقارات القديمة أن القانون القديم ظلم الملاك لعقود طويلة، وجرد المالك من ملكه لمدة ٨٠ عاما وطالب بإلغاء العقود القديمة وكتابة عقود جديدة بمدة محددة مع المستأجر الحالى مشيرا إلى أن القيمة الإيجارية لبعض الوحدات لا تتجاوز جنيهات قليلة فى مناطق راقية مثل مصر الجديدة وجاردن سيتى مما يمثل إهدارا لحقوق الملاك وأشار إلى أن هناك أكثر من مليون وحدة سكنية مغلقة دون استغلال بسبب القانون القديم وطالب بزيادة القيمة الإيجارية إلى ٢٠٠٠ جنيه كحد أدنى للمناطق الشعبية و٤٠٠٠ جنيه للمناطق المتوسطة و٨٠٠٠ جنيه للمناطق الراقية

وأضاف أن هناك وحدات متهالكة معرضة للانهيار يتحمل المالك مسؤوليتها دون القدرة على صيانتها بسبب تدنى الإيجارات وأكد أن تعديل القانون سيدر مليارات الجنيهات للدولة من الضرائب العقارية ويعيد التوازن للعلاقة بين المالك والمستأجر

وأكد أن الائتلاف يرفض طرد المستأجرين لكنه يدعو إلى تحرير العلاقة الإيجارية مع ضمان حقوق المالك فى استعادة ملكه وأضاف أن الملاك يعيشون أوضاعا نفسية واقتصادية صعبة حيث يضطر بعضهم لدفع إيجارات جديدة تصل إلى ٧ و٨ آلاف جنيه بينما لا يحصلون إلا على قروش من ممتلكاتهم وطالب بإلزام المستأجر بتسليم الوحدة سليمة بعد انتهاء الفترة الانتقالية وفى حالة وفاة المستأجر أو من امتدت لهم العقود ترجع الوحدة للمالك دون شروط.

تحقيق: بسمة رمضان

أولاد (الحقبة) وضرب دمشق!!



د. صديق جوهر

كان ياما كان يُحكى فى سالف الزمان أن عمدة قاسى القلب كان يحكم (كفر أبو جاموس) بالحديد والنار والمؤامرات والخداع. والكفر بلدة فى أرياف المحروسة كانت ثرية فى الماضى وكانت تصدر الحبوب والبقوليات والأقطان وكانت مكتفية ذاتياً من الناحية الاقتصادية وكانت مقصداً لمن يسعون للرزق الحلال من القرى المجاورة. فى ظل حكم العمدة الظالم الطماع تبدلت أحوال الكفر.

كان العمدة المجرم من وقت لآخر يسعى للاستيلاء على أملاك الفلاحين الفقراء وتملك أراضيهم بالقوة دون وجه حق وبلا مقابل، كما كان يغتصب النساء عنوة وينتهك حرمة الديار دون رادع، وكان كلما رفض أحد المزارعين التنازل عن أرضه للعمدة كان الأخير يلجأ لزعيم العصابة الذى يقطن فى الجبل مع بعض المجرمين والخارجين على القانون وكان العمدة يمدهم بالسلاح والذخيرة والمال والعتاد.

عندما كان أحد الفلاحين الغلابة يعترض على العمدة الذى طلب منه التنازل عن قطعة من أرضه أو بستان أو حديقة أعجب بها العمدة، كان الأخير يطلب من زعيم العصابة مهاجمة حظيرة الفلاح الفقير وسرقة المواشى وتسميم حوض المياه الذى يشرب منه الماعز والاغنام وقطع ذيول وآذان الحمير فى الحظيرة، وطبعا كانت الغنائم من العجول والأبقار تذهب لزعيم العصابة. وبعد ذلك يكرر العمدة طلبه من الفلاح ويأمره بالتنازل عن (الجولان) أقصد عن قطعة من أرضه، وإذا رفض للمرة الثانية يأمر زعيم العصابة هذه المرة بحرق مزارع الذرة والأرز وجميع المحاصيل الأخرى التى يعيش الفلاح من ثمن بيعها بعدما أنفق عليها كل ما يملك.

وفى حالة إصرار الفلاح على موقفه كان العمدة يأمر زعيم العصابة بالإغارة على مخزن الغلال الذى يحتفظ فيه الفلاح بقوت أسرته. أما إذا تمسك الفلاح برأيه أكثر من ذلك فيقوم زعيم العصابة بتنفيذ أوامر العمدة التى تقتضى خطف أحد بنات أو أبناء الفلاح من (السويداء) أقصد (كفر أبو جاموس) ومساومته وطلب فدية. وفى حالة استمر الفلاح فى الاستعباط والرفض والمقاومة يقوم زعيم العصابة بإحراق (مبنى هيئة الأركان) أقصد الشرفة الأمامية لمنزل الفلاح الفقير ولو استمر الفلاح فى العناد يقوم زعيم العصابة بتدمير وحرق (قصر الرئاسة فى دمشق) أقصد غرفة نوم الفلاح فى (كفر أبو جاموس) والاستيلاء على الملابس الداخلية لأم العيال.

فى الماضى خاطب الشاعر العراقى مظفر النواب فى قصيدة (وتريات ليلية) ما أسماهم (أولاد الحقبة) وقال لهم (القدس) عروس عروبتكم فلماذا أدخلتم كل زناة الليل إلى غرفتها؟ بعد ذلك تآمر (أولاد الحقبة) وسمحوا لقوات الكاوبوى بدخول (بغداد) عاصمة الخلافة العباسية ويبدو أن أولاد الحقبة سوف يسمحون لأولاد...... بالدخول إلى عاصمة الأمويين بعدما رفض المزارع الغلبان التنازل عن الحديقة التى لا يملكها وحده بل هى ملك للبلدة بأسرها. ويبدو أن أولاد الحقبة ظنوا أن (الجولاني) يمتلك (الجولان) ولذلك طلبوا منه التنازل عنها.

لكن بصراحة هذه ليست قضيتنا على الإطلاق فى هذه الأوقات الصيفية الجميلة فنحن بصدد الاستمتاع بالإجازة على الشواطئ وفى حفلات الترفيه. دعونا من كل هذا الهراء الذى يجرى فى (كفر أبو جاموس) وقرب قصر الشعب فى الشام لأننا مشغولون حاليا (وأنا على رأس القائمة) بمتابعة مباريات كرة القدم النسائية الرائعة حيث يمكنكم مشاهدة الأجساد الرياضية الممشوقة لنسوان أوروبا والاستمتاع برؤية هذه الجياد الجامحة التى لا تشكو من آلام الظهر أو تيبس فقرات الرقبة مثل الحريم فى قريتنا.

بالأمس انتهت مباراة كرة القدم الحريمى بين نسوان السويد وستات إيطاليا بفوز حريم إيطاليا ٢/١ والتأهل إلى الدور نصف النهائى وبصراحة كنت أود لو فازت نساء السويد لأنهن قطع متحركة من الزبد والقشطة. شخصياً كنت أشاهد المباراة أثناء قصف مبنى هيئة الأركان فى دمشق وأثناء قيام زعيم العصابة فى (كفر أبو جاموس) بحرق ما تبقى من منزل الفلاح الغلبان الذى لم ينفذ رغبات العمدة البلطجى الذى يحكم العالم – أقصد (عالم سمسم) – هذه الأيام. وثمة أخبار مفرحة تسر الخاطر فقد علمت منذ ساعات أن العمدة طلب عقد اجتماع من أجل الصلح بين زعيم العصابة والفلاح المغلوب على أمره بعدما أحرقوا منزله ومزارعه وسرقوا الماشية من حظيرته ولم يتركوا لزوجته سروالا ترتديه. المضحك المبكى أننا لم نسمع عن أى إدانة لأولاد العم من طرف ما يسمى بالمجتمع الدولى أو الحاج (مجلس القمل) أو حتى الست (أم توحيدة) أقصد (الأمم المتحدة) وأنا فعلا أتساءل لماذا لم يصدر قرار (عيش/خبز الفينو) المعتاد فى هذه الظروف – أقصد (الفيتو)- ولماذا لم تتحرك البوارج وحاملات الطائرات لصد طوفان الصواريخ المنهمرة فوق رؤوس المدنيين فى شوارع دمشق الجريحة. عموماً أقول – كما قال كبيرهم الذى علمهم السحر وقصف الأبرياء – بارك الرب فى (كفر أبو جاموس) وفى (الجولاني) سابقاً وبارك الرب فى أبناء يعقوب وإسحاق (وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا).وفى النهاية نقول للجولانى لا يمكن إدارة الدول بعقلية المليشيات.

(طابت أوقاتكم).

المشهد
العدد 340 – السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 15 يوليو 2025 م الموافق 20 محرم 1447 هـ

قالت العرب
"وأنت تعد فطورك، فكر بغيرك... (لا تنس قوت الحمام)
وأنت تخوض حروبك، فكر بغيرك... (لا تنس من يطلبون السلام)
وأنت تسدد فاتورة الماء، فكر بغيرك...
(ثمة من يرضعون الغمام)







إسرائيل قابلة للكسر قابلة للزوال

أثبت الأحداث الأخيرة أن الكيان الصهيونى قابل للكسر والزوال، لا سيّما بعد أن بدت منظوماته الدفاعية عاجزة عن صدّ وابل الصواريخ والطائرات المسيّرة التى استهدفت عمقه الاستراتيجي. مشاهد الهلع، توقف حركة الطيران، وصافرات الإنذار التى دوّت فى قلب تل أبيب، أكدت هشاشة هذا الكيان. فالحروب الأخيرة لم تكن مجرد اشتباكات عسكرية، بل زلازل ثقافية هزّت صورة إسرائيل فى وعى الصهاينة قبل الوعى العربي. فى هذا التحقيق استعرضت «المشهد» شهادات نخبة من الكُتّاب والمفكرين حول الأحداث الأخيرة وقدرة الأدب العربى على فضح أسطورة التفوق الإسرائيلي.



السيد نجم: السرديات الأدبية العبرية تكشف فراغًا أخلاقيًا وتآكلًا نفسيًا وثقافيًا في بنية الكيان الإسرائيلي



إبراهيم عبدالمجيد: فرار الصهاينة بالملابس الداخلية في الشوارع واختباؤهم في الملاجئ مشاهد لن تنسى



عمار علي حسن: هشاشة إسرائيل نابعة من مركزية الجيش، ما يجعلها عرضة للارتباك والانكشاف في الأزمات



وليد الخشاب: الأفلام الوثائقية، هي الأقدر اليوم على التعبير عن كسر أسطورة التفوق الإسرائيلي

كيان هش

كانت البداية مع الكاتب والباحث السيد نجم، أحد أبطال حرب أكتوبر، الذى أكّد أن صورة العدو الإسرائيلى فى الأدب العربي، وتحديدًا الفلسطيني، قد مرت بتحولات واضحة، تعكس بدقة مراحل المواجهة والصراع.

أوضح نجم أن التجربة الحربية لعام ١٩٦٧ كانت لحظة فارقة أيقظت الوعى العربي، وأشعلت جذوة الاهتمام بالأدب الفلسطينى الذى بدأ منذ ذلك التاريخ يحظى بمكانته المستحقة.

وقدَّم نجم تقسيمًا رباعيًّا لتطور هذا الأدب، يستند إلى التحولات السياسية والنضالية الكبرى: مرحلة ما قبل النكبة (١٩٤٨) حيث طغى الطابع الإحيائى والرومانسي، ثم مرحلة ما بين النكبة والنكسة التى شهدت بزوغ أدب المقاومة رسميًا، لا سيما مع غسان كنفاني، ثم مرحلة ما بعد ١٩٦٧ التى حفلت بالدراسات النقدية وازدهار الشعر المقاوم، وأخيرًا أدب الانتفاضات الذى بلور خطابًا أكثر وعيًا وصرامة.

بيّن نجم أن صورة العدو عبر هذه المراحل كانت دائمًا صورة كاشفة لعنفه وجبروته ولا إنسانيته، إذ جسّد الأدب، الإسرائيلى كغاصب لا يلتزم بأى قيمة أخلاقية أو قانونية. واعتبر أن هذه الصورة لم تتغير فى الوجدان العربى مع الحروب الأخيرة، بل تأكدت وتعمقت، خاصة بعد المشاهد المروعة التى تناقلها الإعلام من غزة.

وأشار إلى أن العنف الممنهج الذى يمارسه الجنود الإسرائيليون اليوم هو نتيجة مباشرة لأسلوب تربوى يقوم على زرع الكراهية منذ الطفولة، كما فصّل فى كتابه «الطفل والحرب فى الأدب العبري».

وأبرز نجم قناعته بأن الأدب والفنون يمتلكان قدرة حقيقية على فضح هشاشة هذا الكيان، موضحًا أن تجربته الشخصية كمقاتل فى حرب ١٩٧٣، وما رصده لاحقًا من ممارسات الاحتلال فى الانتفاضات الفلسطينية، تؤكد أن إسرائيل ليست ذاك الكيان الصلب كما تزعم دعاياتها. بل على العكس، فإن الصورة التى تتسرب من خلال السرديات الأدبية تكشف عن فراغ أخلاقي، وضعف داخلي، وتآكل فى البنية النفسية والثقافية.

وبسؤاله عما لو كتب رواية عن إسرائيل بعد الصراع الأخير، فما الاسم الذى سيطلقها عليها، قال نجم إن اختياره لعنوان رواية عن إسرائيل سيظل مرهونًا بلحظة الإبداع، لكنه يميل لأن يكون عنوانًا يعكس «هوان القيم العليا وتحللهم منها»، فى إشارة إلى الانهيار الأخلاقى العميق الذى يكشفه واقع الاحتلال، ويسجله الأدب العربى المقاوم بعين ناقدة وضمير يقظ.

تحولات جذرية

أكّد الروائى الكبير إبراهيم عبدالمجيد أن العالم يشهد تحوّلا جذريًا فى نظرته للصراع العربي-الصهيوني، بينما لا يزال الكيان الإسرائيلى عالقًا فى وهم القوة والدعاية القديمة «العالم يتغير والصهاينة لا يعقلون». مشيرًا إلى أن كذبة «معاداة السامية» التى روّجت لها إسرائيل لم تعد تنطلى على أحد، خاصة وأن العرب كانوا دومًا ملاذًا لليهود المطرودين من أوروبا، لا مضطهدين لهم. فزراعة إسرائيل فى قلب العالم العربى لم تكن إلا وسيلة مدروسة لإبقاء المنطقة فى حالة ضعف وانقسام دائم.

أوضح عبدالمجيد أن الحرب المستمرة منذ أكثر من عشرين شهرًا فى غزة كشفت الوجه الحقيقى للاحتلال، إذ مارست إسرائيل إبادة جماعية بحق المدنيين، فيما نهضت الشعوب فى مختلف دول العالم – حتى داخل الدول الداعمة للصهيونية – لتُدين وتفضح ما يحدث.

ولفت عبدالمجيد إلى أن الدور الفعّال الذى تلعبه السوشيال ميديا اليوم ساهم فى إسقاط الرواية الإسرائيلية الرسمية، مبرزًا فظائع القتل والدمار بشكل لا يمكن تجاهله أو نسيانه.

وأشار عبدالمجيد إلى عجز إسرائيل عن تحقيق أى انتصار فعلى على الأرض، مؤكدًا أن ما خلّفته آلة الحرب الإسرائيلية حتى اللحظة لا يتجاوز الدمار والمجازر. فلم تستسلم حماس، ولا انهارت كتائب القسام، ولم يرفع أهل غزة الراية البيضاء، بل ظلت صور الأطفال والنساء القتلى، وركام البيوت، ومعالم الخراب، تملأ ميادين العالم، وتتدفق عبر منصات التواصل الاجتماعي، لتُعرّى حقيقة المحتل أمام الضمير العالمى وتفضح زيف دعاياته

وأضاف عبدالمجيد أن رهان إسرائيل على النسيان لم يعد مجديًا، فذاكرة الشعوب الآن حاضرة، لا تنتظر مؤرخًا، بل تكتب وتوثّق على مدار اللحظة عبر المنصات الرقمية، وستتحول قريبًا إلى أفلام وروايات وأشعار وفنون تشكيلية تشهد على الحقيقة وتسهم فى إعادة تشكيل وعى العالم.

وذهب إلى أبعد من ذلك، بالإشارة إلى أن أكثر من مليون صهيونى قد غادروا بالفعل إسرائيل، فى مؤشر واضح على تفكك هذا الكيان الذى قام على أسطورة زائفة تُدعى "أرض الميعاد».

وأردف إذا كان الصهاينة يعوّلون على صمت بعض شعوب الدول الأخرى المقهورة بحكامها، فإن هذا لا يعنى أن العالم كله كذلك. وإذا كانوا يعوّلون على النسيان، فالذاكرة تستيقظ، وتنهض من تحت الركام، حاملة معها مشاهد لا تُمحى وشهادات لا تُنكر.



محمد عبدالباسط عيد: الصهاينة قبل غيرهم أدركوا انهيار صورة الوطن الآمن والقبة الحامية



عبدالرحمن الشرقاوي: حركات المقاومة كانت أكثر وعيًا من غيرها بهشاشة إسرائيل، واستثمرت ذلك في معاركها



شاهندة الباجوري: المواجهات المباشرة تفضح الاهتراء النفسي للكيان، وأدبنا لم ينخدع بأسطورة تفوقه

ولم تغب مشاهد الرعب والهروب للصهاينة عن عين عبدالمجيد، حيث وصف كيف أصبح الصهاينة «يلوذون بالملاجئ ويجرون فى الشوارع بملابسهم الداخلية»، وهى صور لن تُمحى من الذاكرة. وفى المقابل، شدد على أن الفلسطينيين لا يخوضون فقط معارك عسكرية، بل يرسمون جدارياتهم على جدران الزمان، يخلدون روايتهم فى كل مكان، ويصوغون ملامح نصر طويل الأمد بأدوات الفن كما بالسلاح.

صراعات مكتومة

أكد الكاتب والروائى عمار على حسن أن طبيعة المجتمع الإسرائيلى وهشاشته تعود إلى كون الجيش يشكل مركزه الرئيسي، وهو ما يجعله معرضًا للارتباك والانكشاف وقت الأزمات.

وأوضح أن هذه الهشاشة تتعمق بوجود صراعات مكتومة داخل المجتمع الإسرائيلي، تظهر فى لحظات التوتر، وتتجلى فى الانقسام بين الأشكناز والسفارديم، وبين المتدينين والعلمانيين، وبين من وُلدوا فى إسرائيل من الجيل الجديد والمستوطنين القادمين حديثا، بل حتى بين اليهود البيض ويهود الفلاشا السود، وبين يهود أوروبا الشرقية ونظرائهم من أوروبا الغربية داخل فئة الأشكناز نفسها.

ولفت إلى أن الأدب العربى لم يتوغّل تفصيلًا فى رصد الانقسامات داخل المجتمع الإسرائيلي، كما فعلت العلوم الاجتماعية أو الدراسات السياسية والتاريخية، مرجعًا ذلك إلى أن الكُتّاب العرب لا يعيشون داخل هذا المجتمع.

فى المقابل، أشار إلى أن الأدب الفلسطيني، خصوصًا ما أبدعه أدباء الداخل (عرب ٤٨)، قد تناول هذه التصدعات بشكل مباشر أو غير مباشر، سواء فى الشعر أو السرد.

وأوضح عمار على حسن أن الدور الأهم للأدب العربى فى تناوله للصراع مع إسرائيل لا يتمثل فقط فى توصيف الوقائع، بل فى رفض منطق الهيمنة السياسية والعسكرية الذى يتبناه الساسة وقادة الجيوش، والذين ينظرون إلى إسرائيل كقوة صلبة بسبب دعم الغرب. أما الأديب، فيرى ما هو أبعد من القوة الظاهرة، ويتوغّل فى الأعماق التاريخية والاجتماعية، معتمدًا على خياله ورؤيته للعدالة والحرية، رافضًا المقاييس المادية وحدها، ومؤمنًا بأن قضية التحرر تتجاوز حسابات اللحظة إلى أفق التاريخ.

سهام لا توقفها الدروع

ويرى الدكتور وليد الخشاب، أستاذ الأدب العربى بجامعة يورك، أن آلة الدعاية الأمريكية، ومعها فرعها الإسرائيلي، نجحت طيلة عقود فى ترسيخ صورة «الجيش الذى لا يُقهر»، خاصة فى ظل محدودية لحظات الانتصار العربى خلال المواجهات العسكرية، والتى لا تتجاوز حرب ١٩٧٣ فى سيناء، وحرب ٢٠٠٦ فى جنوب لبنان.

وبيّن الخشاب أن هذه الصورة بدأت تتزعزع بقوة بعد سلسلة من الضربات الموجعة التى تلقتها إسرائيل على يد المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وأخيرًا القوات المسلحة الإيرانية، مؤكدًا أن ردّ الفعل الأمريكى السريع لوقف إطلاق النار مع إيران هو أكبر دليل على عمق هذه الضربات.

ولفت الخشاب إلى أن المجتمعات العربية تجهل كثيرًا من التفاصيل عن بنية المجتمع الإسرائيلي، لدرجة أن البعض لا يعرف حتى الآن أن هناك أكثر من مليون ونصف فلسطينى يحملون جنسية دولة الاحتلال.

وأوضح أن الأدب العربى على عكس ما يجب ـ لم يلتفت بما يكفى إلى أهمية تصوير المجتمع الإسرائيلى من الداخل، داعيًا إلى إعادة تفعيل مبدأ «اعرف عدوك» الذى رفعته الدولة المصرية فى فترات سابقة من الصراع.

وأشار إلى أن المذابح الجارية فى فلسطين منذ عام ٢٠٢٣ ربما تدفع الكتاب العرب إلى تأمل واقع الاحتلال بشكل أعمق، لكنه فى الوقت ذاته عبّر عن عدم ثقته فى قدرة الأدب العربى الحالى على إنتاج رواية وافية تعكس هذا التحول فى نظرتنا إلى العدو، معتبرًا أن العرب ما زالوا ـ فى الغالب ـ مجرد متفرجين، بينما تقوم إيران، على سبيل المثال، ببناء خطاب هجومى فاعل فى مواجهة إسرائيل.

ونوه الخشاب إلى أن وسائل الإعلام والمواد البصرية هى التى لعبت الدور الأبرز فى إيصال صورة الهشاشة الإسرائيلية، إذ عرضت للجمهور العربى والعالمى صور الدمار والخسائر، لتؤكد أن هذا الكيان قابل للهزيمة، أو على الأقل عرضة لتكبّد خسائر فادحة إن واجهه مقاتل محترف ومجهّز. وعلى المستوى الثقافى أكد الخشاب أن الفنون البصرية، خاصة الأفلام الوثائقية، هى الأقدر اليوم على التعبير عن كسر أسطورة التفوّق الإسرائيلي، لأنها تحمل الشهادة المباشرة والصورة الموثّقة التى يتلقاها الجمهور بلا وصاية.

وفى ختام رؤيته، عبّر الخشاب عن فكرة رمزية قال فيها: لو كنت سأكتب رواية عن راهنية الصراع، لأسميتها: «سهام لا توقفها الدروع»، مشيرًا إلى أن الصواريخ المقاومة اليوم تقوم بنفس الدور الذى أدّته سهام الأقدمين، إذ تخترق الدفاعات وتضرب المنشآت والمواقع الحيوية، مهما كانت القباب الحديدية والأسلحة المتطورة.

قادر بغيره

قال الكاتب والباحث محمد عبدالباسط عيد ردًّا على سؤال حول تغيّر صورة العدو الصهيونى فى الوجدان العربي، أنه يمكنه الإجابة عليه دون الوقوع فى فخّ التفكير بالتمني؛ فكل إنسان يتمنى لعدوه الزوال، وهذا أمر طبيعي، لكن الأهم هو أن يكون قادرًا على دحر عدوه وفقًا لحسابات الواقع.

واعتبر عبدالباسط أن المواجهات الأخيرة قوّضت دون شك صورة العدو الذى لا يُقهر، مؤكدًا: "لا أتحدث عن الحرب مع إيران وحدها، فهشاشة العدو تأكدت بوضوح من خلال المواجهات مع المجموعات الجهادية الإسلامية فى القطاع مع السابع من أكتوبر، ونحن الآن نقترب من نهاية العام الثاني، والعدو لم يستطع تحقيق أهدافه، وقد احتاج طول الوقت إلى دعم غربى لحمايته من هذه المجموعات المحاصرة، وقد تكون كلمة دعم مخففة، يمكنك الحديث عن حلف غربى على القطاع».

وأشار إلى أن الحرب لم تنته بعد، والكمائن لا تزال تُنصب، قائلا: «ليس آخرها كمين خان يونس المركب الذى تأتينا أخباره – من شاشات العدو – لحظة كتابة هذه الكلمات". وتابع: "لقد أكدت هذه المواجهات القاسية بسالة مقاومينا أصحاب الأرض، بقدر ما أكدت أن عدونا عاجز عن الوجود بنفسه، وهذا ما أكدته حربه مع إيران، والحصار الواسع الذى فرضه على الإعلام كى لا ينقل مشاهد القصف الذى طال فلسطين المحتلة من أقصاها إلى أقصاها .. ولا تخفى عليك أسباب هذا الحصار».

وخلص عبدالباسط إلى أن صورة العدو قد تغيرت فى الوجدان العربي، بل فى وجدان الصهاينة أنفسهم، موضحًا: "لا يمكنهم الكلام بعد الآن عن وطن آمن، ولا عن قبة حامية، فالحرب اليوم لم تعد تجرى وقائعها فى الأرض العربية وحدها، ولكن أهم وقائعها تجرى تحت قبة العدو».

وختم بالقول إن هذا التغير سينعكس على الأدب والفنون بلا شك، "فقط إذا مُنح أدبنا المساحة الحرة ليقول ويرصد ويقدم الرؤى».

وعى المقاومة

وأكد الدكتور عبدالرحمن الشرقاوي، أستاذ الأدب العربى بجامعة أوساكا فى اليابان، أن المجتمع الإسرائيلى هو فى جوهره مجتمع هش ومنقسم على نفسه، رغم ما يعتقده كثيرون من أنه متماسك بفعل رابطة الدين، وهى فى نظره رابطة «عراقية» وليست متينة بالقدر الكافي، حسب تعبيره.

وأوضح الشرقاوى أن هذا الانقسام لا يقتصر على البنية العرقية بين "يهود الشرق والغرب" والأفارقة، بل يمتد أيضًا إلى البنية الدينية، حيث الصراع قائم بين التيارات العلمانية من جهة، والمتدينين من جهة أخرى. وأضاف: "هذا الانقسام كان واضحًا أيضًا فى ثنائية سياسية حكمت إسرائيل لفترات طويلة، بين حزب العمل من جهة، والليكود ممثلًا لليمين من جهة أخرى".

واستحضر الشرقاوى ما قدمه المهندس أحمد بهاء الدين شعبان فى كتابه «حاخامات وجنرالات.. الدين والدولة فى إسرائيل» من تحليل لبنية هذا المجتمع، حيث أشار إلى أن إسرائيل قامت على فكرة دينية، لكنها خضعت لسيطرة الجنرالات والعسكريين لعقود طويلة.

ولفت إلى أن الدكتور عبدالوهاب المسيرى أيضًا قدّم فى موسوعته عن اليهود واليهودية والصهيونية توضيحات دقيقة وعميقة لهذا التفكك البنيوي، لكن غزارة المعلومات جعلت بعض تفاصيلها تغيب عن الوعى العام، كما لم تُقرأ كما يجب.

وانتقد الشرقاوى ما وصفه بسطحية المعلومات المتوفرة عن بنية المجتمع الإسرائيلي، وأرجع ذلك إلى ضعف الاهتمام العربى العام، سواء فى الإعلام أو فى الأدب، قائلًا: «لم ننشغل كمجتمعات ولا كأدباء بدراسة هذا العدو من داخله، ولا بتركيبته البنيوية التى تشكل أحد مفاتيح القوة ضده».

واعتبر أن حركات المقاومة كانت أكثر وعيًا من غيرها بهشاشة المجتمع الإسرائيلي، واستثمرت هذا الضعف من خلال عمليات مثل خطف الجنود وتبادل الأسرى، مستشهدًا بنماذج متكررة من نهايات القرن العشرين وصولًا إلى الزمن الراهن، بل رأى أن إيران بدورها بنت استراتيجيتها ليس على الدفاع الجوى فقط، وإنما على تطوير منظومة هجومية قادرة على إيلام العدو وتحريك الرأى العام الإسرائيلى ضد حكومته.

وفى حديثه عن الأدب العربي، أشار الشرقاوى إلى أن معظم الكتابات ركّزت على معاناة الإنسان العربى والفلسطينى تحت الاحتلال، دون التطرق الجاد إلى تناقضات المجتمع الإسرائيلي. وذكر نماذج مثل محمود درويش وغسان كنفاني، خاصة فى عائد إلى حيفا، الذى ركز على التحوّل الشخصى للأسرة الفلسطينية، وكذلك إميل حبيبى ومريد البرغوثي، الذين عبّروا عن أثر الاحتلال على الحياة اليومية والمنفى، دون أن يظهر العدو كفرد أو كمجتمع متناقض.

وأشار الشرقاوى إلى أن هذا النقص فى الرؤية يقابله اهتمام فى بعض الأعمال الإسرائيلية المكتوبة بالعبرية، والتى قد تمنح الباحثين العرب – خاصة من يقرأون العبرية – فرصة لاكتشاف التناقضات الهيكلية التى تهدد هذا الكيان الهش، مؤكدًا أن استغلال هذه التناقضات قد يؤدى إلى تفكيك هذا البناء الصناعي.

واختتم حديثه بالإشارة إلى ما أكده الدكتور عبدالوهاب المسيرى فى أكثر من موضع، حين رأى أن إسرائيل تعتمد اعتمادًا تامًا على الولايات المتحدة، وأنها قابلة للزوال فور انتهاء دورها بالنسبة لهم.

صدمة وارتباك

من جانبها، أكدت الدكتورة شاهندة الباجوري، الباحثة المتخصصة فى أدب الحرب أن ما حدث للكيان الإسرائيلى خلال الهجمات الإيرانية الأخيرة لم يكن الأول من نوعه، ولن يكون الأخير، مشيرة إلى أن ما جرى يُذكّر بشكل مباشر بما وقع فى يوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، ويوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣، مع فارق واضح فى الاستراتيجيات والتخطيط والتسليح والنتائج. إلا أن ما يجمع بين هذه اللحظات، هو عنصر المباغتة والمفاجأة وخطة الخداع الإستراتيجى التى تسببت فى صدمة واهتزاز نفسى إسرائيلي،التى فضحت الضعف البنيوى فى صفوف الجيش، وارتباك فى قرارات القادة وسلوك الجنود.

وأوضحت الباجورى أن الجنود الإسرائيليين «اعتادوا أن يقصفوا شعبًا أعزل من وراء جدر»، لكن المواجهة العسكرية المباشرة تفضح دائمًا «الاهتراء النفسى والتخبط العسكري»، رغم ما يتلقونه من دعم أمريكى هائل بأقوى المعدات والأسلحة والصواريخ وطائرات التزود بالوقود فى الجو.

وأضافت فى كل حرب تكاد إسرائيل تخسر، لولا تدخل أمريكا التى تدعمها بقوة وتقلب الموازين وتضغط على الطرف الآخر للانصياع، مستثنية من ذلك حرب أكتوبر ١٩٧٣، التى لم يذعن فيها الرئيس السادات، وفرض شروطه بقوة، وحصل على سيناء بالعسكرية والدبلوماسية معًا.

وفى حديثها عن دور الأدب العربي، لاسيما السرد الروائى والقصصي، أكدت أنه كشف عن هشاشة هذا الكيان، من خلال تصوير الجندى الإسرائيلى بالجبان والخائن، الذى يختبئ عند مواجهة الجندى العربي، كما أنه لا يحترم مواثيق الهلال الأحمر للتعامل مع الأسرى، خاصة فى النصوص التى رصدت هزيمة ١٩٦٧، مثل: "الرصاصة لا تزال فى جيبي" لإحسان عبد القدوس، و"أحمد وداود" لفتحى غانم، و"العمر لحظة" ليوسف السباعي، و"عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني، ورواية "الرفاعي"، ومجموعة "حكايات الغريب" لجمال الغيطاني، و"الحرب فى بر مصر" ليوسف القعيد، وثلاثية "الطنطورية" لرضوى عاشور.

كما أشارت إلى شهادة الأديب الإسرائيلى يوعز عفرون، الذى أكد أن ما كُتب من شعر ونثر بعد نكبة ١٩٤٨ لم يكن تعبيرًا عن التفاخر بالنصر، بل عن تخبطات ومعاناة المحارب الصهيونى الذى تحول إلى آلة قتل بأوامر قادته، مما وضعه أمام خيارين: إما أن يتراجع عن فكرته ويعود من حيث أتى، أو يواصل ويخوض حربًا دموية، إنسانًا ضد إنسان، وشعبًا ضد شعب.

وتابعت الباجورى بأن الأدب العربى لم ينجرف يومًا وراء مقولة «الجيش الذى لا يُقهر»، بل على العكس، فقد صاغ الأدباء العرب تيمة الحرب على مستوى البناء الفنى والدرامى للشخصيات والزمكان بمنتهى الوعي، حتى خلال الفترة التى تلت هزيمة ١٩٦٧ وقبل انتصار أكتوبر ١٩٧٣، مشيرة إلى أن أقلام الأدباء شكّلت سلاحًا لكشف كل ما هو خبيث فى الجانب الإسرائيلي، كما استخدموها وسيلة لشحذ الهمم وتشجيع الساسة والعسكريين على اتخاذ قرار الحرب لاسترداد الأرض، وهو ما تحقق لاحقًا.

وختمت الباجورى حديثها بالتشديد على أن «الأدب والفن» بوصفهما من أدوات القوة الناعمة، قادران على كشف الظلم والطغيان والانتهاكات التى تتعرض لها الدول، داعية الأدباء إلى تحويل الحروب المعاصرة إلى قصص واقعية وأعمال فنية، معتبرة أن العالم العربى فى حاجة ماسة إلى فضح هذا الكيان الخبيث من خلال الأدب الذى يؤرّخ ويوثق ويسير جنبًا إلى جنب مع التاريخ.

تحقيق: عبدالكريم الحجراوي

قالت العرب

وأنت تعود الي البيت، بيتك، فكر بغيرك...
(لا تنس شعب الخيام)
وأنت تنام وتحصي الكواكب، فكر بغيرك...
(ثمة من لم يجد حيزا للمنام)
وأنت تفكر بالآخرين البعيدين، فكر بنفسك...
(قل: ليتني شمعة في الظلام)

المشهد
العدد 340 – السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 15 يوليو 2025 م الموافق 20 محرم 1447 هـ

مظاهر التفاوت الاجتماعى فى مجتمع يفترض فيه المساواة

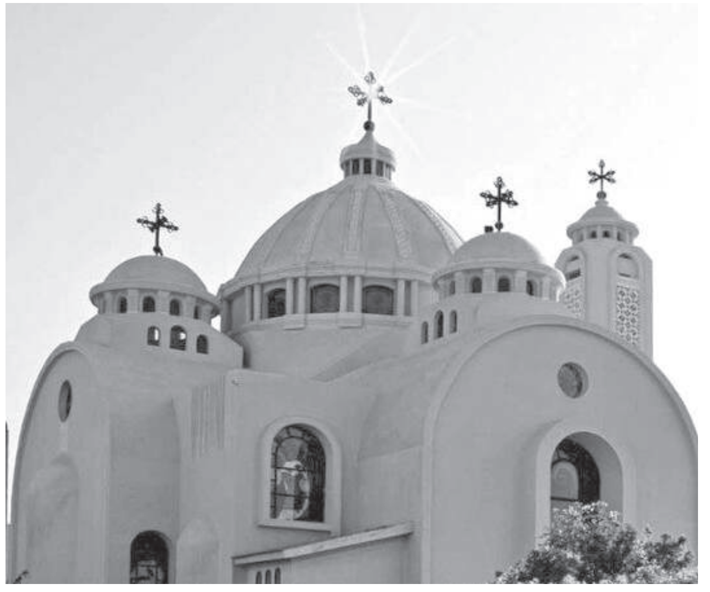
الطبقية الصامتة داخل الكنيسة القبطية

من المفترض أن تكون الكنيسة مكانًا تمحى فيه الفروق الطبقية وتذوب فيه الحواجز الاجتماعية، لكن الواقع فى كثير من المدن المصرية يشير إلى أمر آخر. بصورة خفية. تتسلل الطبقية إلى داخل الكنائس، لا عبر التصريحات المباشرة أو السياسات الرسمية. بل من خلال تفاصيل صغيرة.. نظرات ولهجات ومواقع الجلوس وفرص الخدمة والأحاديث التى تدور بعد الاجتماعات..

فهل بات البعض يشعر بالغربة فى بيت الله؟

هل أصبح الانتماء إلى الكنيسة مشروطًا بلغة معينة أو مظهر معين أو خلفية اجتماعية محددة؟





(الكنائس ليست متشابهة.. لكنها ليست متساوية)

التنوع بين الكنائس أمر طبيعي. فكل كنيسة تتشكل وفقا لموقعها الجغرافى والطابع الاجتماعى للمجتمع المحيط بها ومستوى التعليم والمعيشة لأبنائها. لكن ما لم يناقش كثيرًا هو أن هذا التنوع أحيانًا يتحول إلى تمييز ضمني.

فى بعض الكنائس الراقية بالمدن الكبرى، يبدو وكأن هناك «كودًا غير مكتوب» للانتماء: طريقة كلام معينة وشكل ملابس وقدرة على دفع اشتراكات عالية للأنشطة وأحيانًا المشاركة فى مؤتمرات باهظة التكلفة.. فى المقابل، يشعر بعض أبناء المناطق الشعبية حين يزورون هذه الكنائس، بأنهم «غير مرغوب فيهم» دون أن يقال ذلك صراحة.

(حين لا يكون الكل متساويًا)

الكنيسة فى جوهرها ليست مجرد مكان للصلاة، بل هى مجتمع حي.. لكن ما الذى يحدث حين يشعر بعض الأفراد أنهم غرباء داخل هذا المجتمع؟

بعض الخدام من خلفيات بسيطة يحكون عن صعوبات فى «الاندماج» فى بعض الكنائس. ليس بسبب قلة الالتزام الروحي، بل لأنهم لا يتحدثون بلغة «الوسط»، أو لا يعرفون «الناس الصح».

فى بعض الاجتماعات، تبدو الواجهات محسومة: من يخدم و من يقود الترانيم ومن يظهر على المنصات. ليس دائمًا وفقًا لمعايير روحية، بل أحيانًا بحسب الخلفية الاجتماعية. وطبيعة العلاقات الشخصية، و«قابلية الظهور»..

(الانتماء المشروط والاغتراب الصامت)

يعيش كثير من الشباب المسيحى صراعًا صامتًا: «هل أنتمى فعلا لهذه الكنيسة؟ هل ينظر لى كمجرد متفرج؟ هل وجودى يحرج الآخرين؟»

هذه الأسئلة لا تطرح علنًا، لكنها تترك أثرًا عميقًا. عندما يشعر الجو العام للكنيسة شخصًا ما بأنه أقل، فإنه لن يغضب بالضرورة، لكنه سيتراجع.. بهدوء.. قد يغيب عن الاجتماعات، ثم يقل حضوره للقداسات، وربما يبحث عن كنيسة أخرى أو ينسحب تمامًا من الحياة الكنسية..

(دور الكنيسة فى مقاومة التفاوت)

الكنيسة لا تصنع الطبقية، لكنها تتأثر بها إن لم تكن يقظة. الدعوة المسيحية فى جوهرها تقوم على المساواة الجذرية: «ليس يهودى ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر ولا أنثى، لأنكم جميعًا واحد فى المسيح يسوع.»

لكن هذا لا يحدث تلقائيًا. بل يحتاج إلى وعى داخل جسد الكنيسة، بأن كل فرد يشعر بكرامته، وأهميته، وحقه فى المشاركة، بغض النظر عن خلفيته.

– المطلوب: فحص القلب قبل فحص المظهر

القضية ليست فى شكل الكنيسة أو حجمها أو ترتيبها، بل فى قلبها.. الأسئلة التى يجب أن تطرح داخل كل كنيسة ليست عن عدد الأنشطة ولا جودة الخدمة فقط، بل: هل يشعر «الأضعف» بأنه محبوب هنا؟

هل نترك مساحات حقيقية للناس المختلفين؟

هل نتحدث بلغة مفتوحة أم مغلقة؟

هل نحن فعلا «جسد واحد»؟

الطبقية لا تعالج بالشعارات، بل بإعادة النظر فى تفاصيل صغيرة لكنها حاسمة: من يرحب بالناس على الباب؟ من يشارك فى تقديم الاجتماعات؟ من يحكى قصته دون خجل؟ ومن يختفى دون أن يلاحظ أحد غيابه؟

(التفاوت الطبقي)

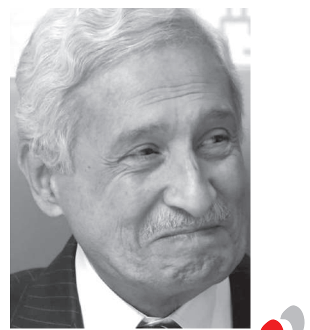
القس يوساب عزت، أستاذ الكتاب المقدس بالكلية الإكليريكية والقانون الكنسى بالمعاهد الدينية، يصف وجود التفاوت الطبقى داخل المجتمع الكنسى بأنه أمر مؤلم، لأنه يتنافى مع جوهر الإيمان المسيحي، الذى يرى الكنيسة جسدًا واحدًا لا مكان فيه للتمييز..

من واقع خدمته، يؤكد أن الطبقية داخل الكنيسة قد تظهر بوضوح أحيانًا، من خلال طريقة التعامل مع الأشخاص بحسب مستواهم المادي، أو فى المناسبات، أو حتى فى توزيع الأدوار داخل الخدمة.. هذه الممارسات، وإن لم تكن معلنة، فإنها تخلق شعورًا بعدم المساواة والانتماء لدى بعض الأفراد.

ويستند القس يوساب إلى نص واضح من رسالة يعقوب يدين هذا التمييز، حيث يقول: «فَإِنْ دَخَلَ إِلَى مَجْمَعِكُمْ رَجُلٌ بِخَاتَمِ ذَهَبٍ فِى لِبَاسٍ بَهِيٍّ، وَدَخَلَ أَيْضًا فَقِيرٌ بِلِبَاسٍ رَثٍّ، فَنَظَرْتُمْ إِلَى اللاَّبس اللِّبَاسَ الْبَهِيَّ وَقُلْتُمْ لَهُ: اجْلِسْ أَنْتَ هُهُنَا حَسَنًا. وَقُلْتُمْ لِلْفَقِيرِ: قِفْ أَنْتَ هُنَاكَ، أَوِ اجْلِسْ هُهُنَا تَحْتَ مَوْطِئِ قَدَمَيَّ. فَهَلْ لاَ تَمِيِيزُونَ فِى نُفُوسِكُمْ، وَتَصِيرُونَ قُضَاةَ أَفْكَارٍ شِرِّيرَةٍ؟» (يعقوب ٢: ٢-٤)



القس يوساب عزت: البعض يدخلون الكنيسة بقلوب مشتاقة.. لكنهم يخرجون مجروحين من نظرة طبقية



ماهر عزيز: الكنيسة ليست مجتمع ملائكة.. بل بشر يحاولون أن يكونوا أنقياء وسط الضعف البشرى والخذلان

ويحذر من شعور الغربة الذى قد ينتاب البعض داخل الكنيسة بسبب مستواهم الاجتماعى أو مظهرهم أو لباسهم، حيث يقول: «ناس كتير بتدخل الكنيسة ويكون عندها شوق حقيقي، لكن بسبب نظرات الناس أو تعليق بسيط على لبسهم أو هيئتهم، ممكن يحسوا إنهم غرباء. وده ضد روح الإنجيل اللى علمنا المحبة غير المشروطة»..

ويذكر بكلمات المسيح نفسه حين لام الفريسيين على اهتمامهم بالمظاهر الخارجية، قائلا:

«الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة، وهما من داخل مملوآن اختطافًا ودعارة»

(متى ٢٣: ٢٥)

ثم يؤكد: «الكنيسة مش مكان لإصدار الأحكام، بل حضن مفتوح للى لابس لبس بسيط أو حتى تقليدى أو مش على الموضة».

وعن الفروقات بين الكنائس فى المناطق المختلفة، يقول إن الاختلاف فى الشكل أو الإمكانيات لا يعنى اختلافًا فى الروح. يوضح ذلك قائلًا:

«أحيانًا نعم، بيكون فى اختلاف من حيث الإمكانيات والشكل الخارجى للخدمة، لكن مش بالضرورة فى الروح. الكتاب المقدس بيشجع على وحدة الروح حتى فى تنوع الجسد».

ويستشهد بقول بولس الرسول:

«فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ... كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضًا»

(١ كورنثوس ١٢: ١٢)

ثم يضيف: «ممكن تلاقى فى الكنيسة الشعبية حرارة الإيمان وبساطة القلب، وفى الكنيسة الراقية تنظيم أكتر. المهم إن الكل بيخدم فى جسد واحد، وده لازم نحرص عليه».

وعن فكرة الكنيسة كحضن شامل لكل الفئات، يقول القس يوساب: «المفروض طبعًا، الكنيسة تبقى صورة حية من أحضان المسيح اللى فتحت للجميع، لكن الواقع أحيانًا بيكون مختلف».

ويرى أن المشكلة ليست فى تعليم الكنيسة، بل فى التطبيق العملي. فتعاليم الإنجيل واضحة، كما فى قوله: «لاَ يَكُونُ بَعْدُ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِى الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (غلاطية ٣: ٢٨)

ويؤكد: «لازم نفتكر دايمًا إن الكنيسة هى مكان الراعى الصالح اللى بيسيب التسعة والتسعين عشان خاطر واحد تايه».

ويحكى عن حالات شابة انسحبت بالفعل من الخدمة بسبب شعور بعدم الانتماء، قائلا:

«شفت شباب حسوا إنهم مش على مستوى الناس الموجودين، لا من حيث اللبس ولا المظهر، وحسوا إن الكنيسة مش ليهم، وده يوجع جدًا».

ويذكر بقول المسيح: «لا يُخْرِجُ أَحَدًا خَارِجًا» (يوحنا ٦: ٣٧)

ثم يختم بالقول: «الكنيسة لازم دايمًا تكون هى الأب اللى بيجرى ويحضن، مش الأخ الأكبر اللى بيرفض يرجع أخوه».

وعن طريق كسر هذا الحاجز الطبقى داخل الكنيسة، يرى القس يوساب أن البداية تكون من التعليم والقدوة. فيقول:

«نعلم فى مدارس الأحد والاجتماعات عن المساواة فى المسيح، ونعيش ده فعلا فى تعاملاتنا. الكاهن والخادم لازم يرحبوا بكل الناس بنفس القلب. الكنيسة لازم تكون المكان اللى فيه الغنى والفقير بيصلوا جنب بعض، ويشربوا من ذات الكأس ويتناولوا من ذات الجسد».

ويختم بكلمات بولس الرسول التى يعتبرها الأساس: «وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ فِى الْمَسِيحِ، فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ» (٢ كورنثوس ٥: ١٧)

ثم يضيف: «يعنى كل الحواجز القديمة لازم تسقط، ونعيش فعلا ككنيسة واحدة، جسد واحد، قلب واحد».

(الرواد ليسوا طبقة)

يعلق الدكتور ماهر عزيز، استشارى البيئة والطاقة والتغير المناخى وخادم بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية، إن فى كل كنيسة توجد بلا شك مجموعة من الأثرياء الذين يقدمون عطاياهم لحل مشكلات الكنيسة، وهؤلاء غالبًا ما يكونون قريبين جدًا من الآباء الكهنة، ويحظون بالصدارة فى أى موقف. ويضاف إليهم المهندسون الذين يخدمون المباني، والمحاسبون الذين يديرون الشؤون المالية. لكنه يرى أن هذا القرب لا يجعل منهم «طبقة»، بل يصفهم بأنهم «روّاد».

وبرؤية ناقدة وواقعية، يقول إن من يدخل كنيسة راقية بملابس بسيطة أو خلفية اجتماعية متواضعة، قد يُقابل بنظرات استغراب وتساؤل ضمني: «ما الذى أتى به إلى هنا؟»، وقد يحاول أحد التلطف معه لمعرفة حاجته، لكن فى الوقت ذاته لن يُمنع من الصلاة أو لقاء الكاهن.

ويصف الفرق بين الكنائس قائلًا إن الخدمة فى المناطق الشعبية تُقدَّم بروح من البساطة والعشم والدفء الإنساني، وبإمكانات محدودة لكنها فعالة ومليئة بالتعاطف الحقيقي. أما فى الكنائس الراقية، فتُقدم الخدمة بطريقة منظمة ومخطط لها بإمكانات أكبر، لكنها قد تحاط أحيانًا بمظاهر المجاملة السطحية، وإن كانت صادقة.

ويرى أن الأشخاص الذين يُدعون للعظات والمحاضرات يُعاملون باحترام مميز بصفتهم قادة روحيين وفكريين، وأن بعض أمناء الخدمة يحظون بتبجيل خاص. لكنه يؤكد أن أغلب الحضور لا يتعرضون لتمييز، بل قد ينال من يبدو أكثر تواضعًا أو رقة حال اهتمامًا إضافيًا.

ويقر بوجود حالات لشباب تركوا الكنيسة، لا بسبب العقيدة، بل بسبب المعاملة الجافة أو الغرور من بعض الخدام أو الكهنة. فيقول إن هناك من طرد من الكنيسة بفعل خادم «صار خادمًا فى غفلة من الزمن»، أو بسبب كاهن متجبر تدخل فيما لا يعنيه. وهناك من غادروا إلى كنائس بروتستانتية بعد أن فقدوا شعورهم بالقيمة داخل الكنيسة القبطية. وبعضهم صُدم بتهم هرطقة ألقيت عليهم ظلمًا لأنهم قرأوا وفهموا وتعمقوا فى الكتاب المقدس، لكنهم اصطدموا بمن وصفهم بـ«الخدام الحافظين مش فاهمين».

ويتوقف أمام حالات من التكفير والعداء تولّدها عقلية من يسميهم «حماة الإيمان»، فيقول إن لغتهم الهجومية الهابطة جعلت بعض الشباب «يكفرون بالكنيسة الأرثوذكسية غير آسفين عليها».

ويُحلل ظاهرة تفضيل البعض فى المسؤوليات والظهور، قائلا إن الدوافع متعددة: أحيانًا بسبب الموهبة، وأحيانًا لمحاولة رفع الثقة بالنفس، أو بسبب الصداقات والعلاقات الشخصية، أو لتعزيز التحزب والشللية، أو حتى للاستلطاف أو الاستغلال. ثم يختصر المشهد كله بجملة شديدة الوضوح: «مجتمع الخدام ليس مجتمع ملائكة، لكنه مجتمع بشر يحاولون أن يكونوا أنقياء لأجل خدمة صالحة للمسيح، ولكن الضعف البشرى يحاصرهم.»

أما عن رؤيته للكنيسة التى يحلم بها، فيتمنى أن يراها قوية فى الروح، ثابتة على الإيمان الحقيقى بإنجيل المسيح، لا بتفسيرات بشرية موروثة. كنيسة لا تتعصب ضد كنائس الله الأخرى، وتتحرر من الخرافة والتمجيد الزائد للإكليروس، وتدار ماليًا بعدل وشفافية، وتحل مشكلات الأحوال الشخصية برحمة وإنارة روحية.

كنيسة تسعى فعليًا للوحدة، لا مجرد التظاهر بها، وتعيد النظر فى التعليم والخدمة والرهبنة على ضوء الإنجيل لا التقاليد المهترئة.

(من الكنيسة.. تبدأ المصالحة)

إذا كانت الكنيسة هى ملجأ الإنسان فى عالم مليء بالتفاوتات، فلا يجب أن تعيد إنتاج نفس العالم داخلها. العدالة ليست فقط موقفًا اجتماعيًا، بل ضرورة روحية. والانتماء ليس رفاهية، بل جزء من الإيمان.

الكنيسة التى لا يسمع فيها الفقير صوته، ولا يشعر فيها البسيط بالأمان، تحتاج أن تراجع رسالتها. ولعل البداية تكون من سؤال بسيط وصادق: «هل يشعر كل من يدخل هذا الباب بأنه مرحب به؟»

إن لم يكن، فلنعد فتح الباب... من القلب.

تحقيق – مادونا شوقي

ممنوعات من الطلاق حتى لو ضربن أو قتلن:

نساء معلقات بين العنف والقداسة





الكنيسة ترفض الانفصال باسم العقيدة والمجتمع يطالبهن بالصبر وأجسادهن تدفع الثمن

بين جدران الكنيسة وأحكام المجتمع، تعيش نساء مسيحيات معلقات فى زواج لم يعد يحتمل، يواجهن الألم وحدهن، ويصطدمن بجدار صلب من الرفض الكنسى لأى طلب بالطلاق.. فى حالات العنف الجسدى والقتل.. هؤلاء النساء لا يسألن سوى الحق فى النجاة، لكن الطريق إلى ذلك يبدو مغلقا أمامهن باسم العقيدة..

فى العقيدة المسيحية الزواج سر مقدس لا يفك إلا بالموت أو الزنا، بحسب ما تنص عليه اللائحة الكنسية المنظمة للأحوال الشخصية، لكن هذا النص الجامد لا يأخذ فى اعتباره تعقيدات الواقع، ولا يعترف بما هو أبعد من الخطايا الجسدية: الإهانات اليومية، التهديد، الضرب، الخيانة النفسية، وحتى القتل أحيانًا. وفى وقت يزداد فيه العنف الأسرى انتشارا، تظل النساء المسيحيات عاجزات عن اتخاذ قرار قانونى بالانفصال، لأن الكنيسة لا ترى أن «العنف» سببا كافيا لفسخ الرباط الزوجي..

(نساء عالقات فى زواج ميت)

داخل المحاكم الكنسية ترفض طلبات كثيرة مقدمة من نساء يطلبن الطلاق بعد سنوات من الإهانة والانتهاك، لأن الزوج ببساطة «لم يزني». تصرخ واحدة منهن فى عريضة الدعوى: «هو بيكسر ضلوعى كل يوم، لازم يغتصبنى أو يقتلنى عشان أبقى حرة؟».. لكنها لا تجد فى القانون الكنسى ما ينصفها.. تخرج محطمة من مكتب الكاهن أو القاضى الروحى لتعود إلى بيت هو سجن بكل ما تحمله الكلمة من معنى..

يضاف إلى العجز القانونى عجز اجتماعي. فى مجتمع يقدس مؤسسة الزواج. توصم المرأة التى تطلب الطلاق بالخطيئة وكأنها هى من خربت بيتها لا من استبيحت كرامتها فيه. تنصح بالصبر تلام على «قصر النفس»، يقال لها «كل الستات بتستحمل» حتى لو كانت حياتها فى خطر.. فى بعض الحالات تصل المرأة إلى الانهيار النفسى الكامل وفى حالات أخرى، للأسف، تصل إلى الانتحار..

(الانفصال غير المعترف به)

البعض يحاول الالتفاف على العقبة بالمطالبة بـ الانفصال الجسدي.. أو ما يعرف بـ«الطلاق العملي».. وهو انفصال الزوجين فى المسكن والمعيشة دون الطلاق الكنسى الرسمي، لكن هذا الحل لا ينصف النساء أيضا، لأنه يتركهن معلقات قانونيا: لا يستطعن الزواج مجددا ولا يستطعن الحصول على نفقة رسمية أو حضانة أطفال فى كثير من الأحيان، ويظلن تحت سلطة زوج لا يزال الكنيسة تعتبره «رب بيتها الشرعي»..

(صرخات صامتة داخل الكنيسة)

الملف لا يخلو من محاولات إصلاح. هناك رجال دين يعترفون صراحة بأن اللائحة الكنسية الحالية، خاصة لائحة ١٩٣٨ لم تعد صالحة لحجم المأساة، وهناك مبادرات لدراسة حالات العنف المنزلى كأسباب كافية للطلاق لكن هذه المحاولات تصطدم أحيانا برفض المجمع المقدس أو تهميشها داخل لجان مغلقة تدار ببطء شديد ولا تصل إلى نتيجة ملموسة..

فى حديث سابق قال أحد الكهنة المنفتحين على التطوير: «لا يعقل أن نطلب من سيدة مضروبة أن تظل زوجة صالحة لرجل قاتل.. يسوع لم يأت ليزيد القيود بل ليحرر الناس إذا تحول الزواج إلى عبودية فقد روحه المقدسة»..

النساء العالقات لا يعانين فقط من الحرمان من الطلاق. بل يعانين من تدهور نفسى عميق تشير شهادات بعضهن إلى أعراض اكتئاب مزمن و نوبات هلع رغبة فى إيذاء النفس، بل وهواجس انتحارية بينما تصمت الكنيسة، ويصمت القانون وتلوذ الضحية بالخوف والعار.

أخصائيات نفسيات يتحدثن عن مذبحة صامته لنساء يصرخن بلا صوت ويعشن تحت قهر مزدوج دينى واجتماعي، إحداهن علقت: النساء دول بيتاكلوا من جواهم وفى الآخر لو واحدة ماتت أو انتحرت، بنعمل لها قداس ونقول كانت مؤمنة.

(الطريق إلى الإصلاح بطيء)

فى السنوات الأخيرة بدأت الكنائس المسيحية فى مصر تتحدث عن مشروع قانون موحد للأحوال الشخصية، لكن المشروع لم ير النور حتى الآن، ولا يزال يراوح مكانه بين لجان الدراسة والمراجعة وحتى إن خرج لا أحد يضمن أن يكون منصفا للنساء، أو أن يعترف بالعنف كشكل من أشكال الهدم الكامل للحياة الزوجية..

فى الوقت نفسه تصر الكنيسة على أن الإصلاح لا بد أن يحترم التعاليم الإيمانية وهو ما يفتح بابا للسؤال: هل يمكن للرحمة أن تتصالح مع العقيدة؟ وهل يمكن للكنيسة أن ترى جراح النساء كأسباب روحية حقيقية للطلاق لا مجرد وقائع قانونية صارمة؟

بحسب المستشار نجيب جبرائيل ميخائيل، رئيس محكمة الأحوال الشخصية الأسبق ورئيس الاتحاد المصرى لحقوق الإنسان، فإن جذور الأزمة تعود إلى لائحة ١٩٣٨ التى أقرها المجلس الملى العام، والتى كانت تتيح الطلاق فى ثمان حالات، من بينها الزنا، والعنف الجسدي، والإيذاء الجسيم، وتغيير الدين، والعجز الجنسي. لكن فى عام ٢٠٠٨، ألغى البابا شنودة هذه البنود، وأبقى فقط على سببين للتطليق: الزنا أو تغيير الديانة. ومنذ ذلك الحين، صارت المحاكم الكنسية لا تعترف إلا بهذين السببين.

ورغم ما يمثله هذا التشدد من أزمة حقيقية، يشير جبرائيل إلى وجود مشروع قانون موحد للأحوال الشخصية يناقش حاليا فى مجلس النواب وقد انتهت ملامحه بالفعل، وقد يصدر فى القريب حسب تعبيره. ومن أبرز ما يتضمنه المشروع هو استحداث أسباب جديدة للتطليق، منها العنف الجسدى والإيذاء النفسى والهجر، بشرط أن تمر فترة زمنية على الانفصال: ثلاث سنوات للأزواج من دون أطفال، وخمس سنوات إذا كان لديهم أطفال.

ويعترف المستشار جبرائيل بأن تأخر إصدار القانون – الذى بدأت مناقشاته منذ عهد البابا شنودة – أدى إلى تفاقم أزمات الطلاق، وتسبب فى مشكلات معقدة مثل تغيير المذهب أو الخروج من الدين كوسيلة للالتفاف على القواعد الكنسية الصارمة، ويصف هذه الظاهرة بأنها «مافيا» تدفع ببعض النساء والرجال إلى مغادرة الطائفة أو إعلان تغيير ديانتهم، فقط للهروب من الزواج الذى لا يجدون فيه مخرجا.

ورغم محاولة الكنيسة معالجة الخلافات الزوجية عبر المجالس الإكليريكية وهى لجان مشكلة من أسقف وكهنة ومستشار قانونى ، فإنها لا تملك سلطة ملزمة بل تسعى فقط لمحاولات الصلح وفى حال تعذر ذلك يحال النزاع إلى المحكمة، لكن الحكم القضائى لا يلزم الكنيسة بإعطاء تصريح زواج جديد ما لم يكن متوافقا مع الشروط الكنسية.

أما عن أسباب تزايد حالات القتل والانتحار المرتبطة بالنزاعات الزوجية، فيرى جبرائيل أنها تعود فى الأساس إلى اختيارات خاطئة من البداية، لا إلى موقف الكنيسة، وإن كان تأخر الإصلاح التشريعى قد ساهم بشكل غير مباشر فى تفاقم المأساة.



القس رفعت فكري: الكنيسة لا تلزم أحدا بالبقاء فى علاقة مؤذية.. ولدينا مشروع قانون يعترف بالعنف كأحد أسباب الانفصال



نجيب جبرائيل: لائحة 2008 جردت النساء من حق الطلاق ومشروع القانون الجديد يعيد الاعتبار لضحايا الزواج القسري

ويختم بالإشارة إلى مادة جديدة فى مشروع القانون المرتقب تعرف بـ«الزنا الحكمي» مادة ٥٠ والتى تعتبر المراسلات أو التصرفات التى تدل على الخيانة كافية لطلب الطلاق حتى دون إثبات وقوع الزنا الفعلي، ما يمثل تغييرا جذريا فى مفهوم الرباط الزوجى داخل المسيحية المصرية.

(تطليق وليس طلاقا)

يؤكد القس رفعت فكري، الأمين العام المشارك بمجلس كنائس الشرق الأوسط، أن المسيحية لا تعترف بالطلاق بمعناه المعروف فى الشرائع الأخرى، وإنما تنظم الكنيسة «التطليق» وفق معايير عقائدية دقيقة. وقال: الطلاق بالإرادة المنفردة موجود فى اليهودية والإسلام، أما المسيحية فلا يوجد بها طلاق، بل هناك حالات تطليق تنظر فيها الكنيسة، وفقا للائحة قانونية ملزمة أمام القضاء.»

وأشار فكرى إلى أن اللائحة الحالية لا تعترف إلا بالزنا كسبب مباشر للطلاق، ما يجعل حالات العنف الجسدى أو النفسى غير كافية وحدها لاتخاذ قرار بالانفصال الكنسي، لكنه أبدى تفاؤله بمشروع القانون الموحد للأحوال الشخصية الذى صاغته الطوائف المسيحية الثلاث، مشيرا إلى أنه يتضمن بنودا جديدة تعالج مشكلات مزمنة وعلى رأسها العنف الأسري.

وأوضح أن الكنيسة لا تلزم النساء أو الرجال بالبقاء فى علاقات مؤذية، بل تتعامل مع الحالات من خلال لجان أسرية تضم رجال دين ومستشارين قانونيين وأخصائيين نفسيين. وأضاف: دور الكنيسة إرشادى بالأساس، هدفه تقديم المشورة ومحاولة الصلح بين الزوجين، لكن حين تصل العلاقة إلى طريق مسدود وتثبت استحالة العشرة، يمكن للجنة المختصة أن ترفع تقريرًا يفيد بذلك.

وشدد فكرى على أهمية الدعم النفسى والاجتماعى داخل الكنائس، مؤكدًا أن الكنيسة مطالبة بأن توفر مكاتب مشورة واجتماعات توعوية للأسر، لمساعدتهم على تجاوز الأزمات الزوجية. كما أكد أن الكنيسة يجب أن تقف دائما فى صف «الضعفاء والمهمشين والمجروحين»، سواء كانوا نساء أو رجالا، دون تمييز.

وبشأن ما يثار حول إلزام النساء بالخضوع أو منعهن من الطلاق، قال القس: الكنيسة لا تجبر أحدا على الاستمرار فى علاقة خطرة دورها هو النصح والمشورة، وليس الفرض أو الإكراه.

وفى ما يخص إعطاء تصاريح زواج ثانية، أوضح أن الكنيسة تميز دائمًا بين الطرف البريء والطرف المدان: «من ارتكب الخطأ لا يمنح تصريحا، أما الطرف المجنى عليه، والذى تراه الكنيسة بريئًا، فيُمنح الحق فى بدء حياة جديدة».

وفى الختام، أشار فكرى إلى غياب إحصائيات دقيقة ترصد حالات الطلاق بسبب العنف داخل الكنائس، لكنه أعرب عن أمله فى أن يشكل مشروع قانون الأحوال الشخصية الجديد «مرجعية عادلة» تحفظ حقوق النساء، وتوفر حلولا واقعية للمشكلات المتكررة داخل البيوت المسيحية.

متى تسمع الأصوات؟

تنتظر النساء العالقات أن تفك قيودهن لا بالتمرد على العقيدة بل بإعادة فهمها فى ضوء الواقع فهل تستجيب الكنيسة للصرخات؟ وهل يعلو صوت الحياة على صوت النصوص الجامدة؟

الأسئلة تظل معلقة.. تماماً كحياة هؤلاء النساء..

تحقيق – مادونا شوقي

قالت العرب

"والآن أشهد أن حضورك موت وأن غيابك موتان
والآن أمشي على خنجر وأغني...قد عرف الموت أني أحبك
أني أجدد يوما مضى ... لأحبك يوماً وأمضي..."

المشهد
العدد 340 – السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 15 يوليو 2025 م الموافق 20 محرم1447 هـ

التحليل السياسى بين التفكير الرغبى والحرب النفسية

من غزة إلى طهران .. وسائل الإعلام ميدان قتال

طرحت الحرب القصيرة بين إسرائيل وإيران، مثلما طرحت الحرب على غزة التى فجرها هجوم السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ من قبل، مشكلة كبيرة فيما يتعلق بتحليل أحداث وثيقة الصلة بصراعات مشحونة بالعواطف وبتصورات أيديولوجية مسبقة، وينظر إليها، عادة، من خلال سرديات كبرى ترسم لها مسارات تاريخية حتمية أو شبه حتمية. ففى مثل هذه الصراعات، كثيراً ما يختلط التحليل والرأى بما يسمى بالتفكير الرغبى wishful thinking، الذى يُخضع التحليل لأهواء المحلل أو بما يرضى توقعات الجمهور المستهدف وما يتمناه بغض النظر عما تنبئ به البيانات المتاحة والوقائع. لكن الأخطر من التفكير الرغبي، أن كثيرا من التحليلات والآراء التى تنتشر عبر وسائل الإعلام، التى غدت ميدانًا آخر للقتال، أصبحت واحدة من أدوات الحرب النفسية، وجزءً أساسيًا من المعركة على الوعى والإدراك، وباتت من بين العناصر الأكثر حسماً وخطورة فى الحروب الحديثة، خصوصًا إذا ما علمنا أن الهدف الرئيسى لأى حرب هو كسر إرادة الخصم وإقناعه بهزيمته، معنوياً ونفسياً، حتى قبل وقوع الهزيمة الفعلية أو المادية.



التحليلات السياسية أخطر من الدعاية المباشرة لأنها تسعى إلى "احتلال العقل واحتلال اللغة"

الجائزة الأساسية التى حققتها إسرائيل من هذه الحرب هو تعطيل المفاوضات النووية الأمريكية الإيرانية

وفى هذا السياق، أصبح التحليل السياسى أداة أكثر تأثيرًا فى الأطراف المتصارعة من حملات الدعاية الموجهة التى تشرف عليها أجهزة المخابرات والأجهزة المسؤولة عن شن الحروب النفسية، فالتحليلات السياسية تلعب دوراً أخطر من الدعاية المباشرة، لأنها تسعى، وبشكل مباشر إلى "احتلال العقل واحتلال اللغة"، حسبما تذهب القاصة والمترجمة العراقية بثينة الناصري، فى كتابها "احتلال العقل: الإعلام والحرب النفسية"، الصادر فى عام ٢٠١٧، من خلال برامج وعمليات معقدة لغسل الأدمغة. ويوظف التحليل السياسى والاستراتيجي، فى الحرب النفسية، مثله مثل النتائج التى خلصت إليها البحوث فى مجالات مختلفة المعنية بدراسة السلوك البشرى والتأثير فيها والتى تستفيد من البحوث فى علم الأحياء (البيولوجيا) أو علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) أو علم النفس، وكان تأثير ثورة المعلومات والاتصالات ووسائل الإعلام الحديثة عظيمًا فى الحرب النفسية وأدواتها. ومع هذا، تظل الكلمة هى الميدان الرئيسى للحرب النفسية، ولا يزال التأثير فى إدراك الخصم على مستوى نخبة صنع القرار، أو على مستوى الجمهور العام بغرض توجيه ردود فعله وتوجهاته هو هدف هذه الحرب وغايتها. فهذه الحرب «معركة الكلمة والمعتقد، بحسب وصف صلاح نصر، مدير جهاز المخابرات المصرية الراحل، فى كتابه عن «الحرب النفسية» الذى صدر فى جزأين فى سبتمبر عام ١٩٦٦، والذى يوضح كيف توظف نتائج البحوث البيولوجيا وعلم النفس فى خدمة الأمن القومى للدول.

الحرب فى عالم «ما بعد الحقيقة»

تميزت الحرب الإسرائيلية على غزة، ومع حزب الله فى لبنان، ومع الحوثيين فى اليمن، وأخيراً حربها مع إيران، بحضور لافت للمحللين السياسيين والخبراء الاستراتيجيين والعسكريين الذين يتحدثون للجمهور من خلال المنصات الإعلامية، وعادة ما يتم اختيار المتحدثين على نحو يظهر حيادية المؤسسة الإعلامية وحرصها على تحقيق التوازن فى تغطية الأحداث. التوسع فى الاعتماد على المحللين والخبراء تطور جديد ناجم عن ثورة المعلومات والاتصالات وفى دور وسائل الإعلام التى باتت تتعامل مع متلقين لديهم بدائل عديدة للمعرفة وتكوين الرأى فى ظل التدفق الهائل للمعلومات والبيانات وبسرعة كبيرة، عبر الوسائط المختلفة للإعلام الجديد مع التوسع الاعتماد على الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعى وظهور لاعبين جدد قادرين على التعامل مع هذه الوسائط الجديدة وتوظيفها من خلال ضخ اللقطات المصورة والمعلومات، وترتب على ذلك استخدام وسائل التواصل الاجتماعى والانترنت لضخ كم كبير من الأخبار والتقارير المزيفة، لا سيما مع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعى التوليدي، وقد ساهم ذلك فى بروز ما بات يعرف فى الدراسات الإعلامية والاجتماعية بعالم «ما بعد الحقيقة»، والذى يشير إلى مناخ ثقافى وسياسى يتراجع فيه تأثير الحقائق الموضوعية فى تشكيل الرأى العام، فيما يتزايد تأثير العواطف والمعتقدات الشخصية، على نحو يصبح معه تأثير الحقائق والوقائع ثانويًا مقارنةً بتأثير العواطف والآراء الشخصية، خاصةً فى الخطاب السياسي.

من المفترض أن يساهم التوسع فى دور التحليل السياسي، الذى كان يقتصر على تقديم المشورة لصناع القرار، لطرح تقديرات للموقف للجمهور الأوسع الذى يؤثر على المسؤولين الذين يتخذون القرارات من خلال مراقبة قراراته وتقييم أدائهم. ومن المفترض أن يساعد هؤلاء المحللون والخبراء، الجمهور على رؤية الحقائق من خلال التنقيب فى السيل الهائل من البيانات والمعلومات، لتكوين تصور أقرب إلى الواقع، لكن معظم هؤلاء المحللين والخبراء ساهموا فى إفساد المهمة الأساسية للإعلام بتحويل المنصات الإعلامية إلى منصات للتضليل وتزييف الوعى وتغييب الجمهور عن حقائق الحرب وتطوراتها ومساراتها، إما بسبب تغليب أهوائهم على الحقائق أو تكييف استنتاجاتهم لتتوافق مع رغباتهم ومع توقعات الجمهور وتفضيلاته. والنتيجة أن الجمهور يصحو فجأة على واقع مغاير تمامًا لما كان يقوله المحللون عبر وسائل الإعلام. هناك إشكاليات كبيرة تطرحها ثورة الاتصالات والمعلومات، ومصادر البيانات المفتوحة من خلال الانترنت، والتى أتاحت للجمهور العام سيلًا من البيانات والمعلومات، لكنها لم تساعده فى الوقت نفسه على تقييم ما تقوله البيانات الرسمية لهذا الطرف أو ذاك. وبدلًا من أن يُعين الخبراء والمحللون الجمهور على الوقوف على حقيقة ما يجري، والتزامهم الحياد والموضوعية واستنادهم إلى معلومات دقيقة وبيانات موثقة، فإنهم يسيئون استغلال ما يتمتعون به من مصداقية.

تجدر الإشارة هنا إلى الفارق الكبير بين التحليلات التى يعلنها المحللون من خلال وسائل الإعلام، والتحليلات التى تجريها مراكز التفكير والدراسات، وكذلك الفارق بين ما تنشره هذه المراكز للجمهور وبين ما لا تنشره. وعليه، يجب النظر إلى التحليلات المنشورة، بحذر شديد، لأنها قد تكون جزءًا من حملة تستهدف التأثير على الرأى العام وتوجيهه. وهناك فارق كبير بين التحليل السياسى الأمثل، وبين ما يحدث فى الواقع وفى الممارسة العملية.

فى كتابه «منهجية التحليل السياسى وأهم أدواته»، يقدم الدكتور خيرى فرجاني، أستاذ الاقتصاد والعلوم السياسية، تصورًا مثاليًا للتحليل السياسى ويراه «وسيلة» لإيصال فكرة أو وجهة نظر قريبة للواقع، من خلال عرض جميع جوانب الحدث واستنتاج أسبابه، ودوافعه، وأهدافه، وتوقع ما سوف تؤول إليه الأحداث فى المستقبل القريب والبعيد، فضلا عن معرفة تأثيراته على الواقع الراهن». والتحليل السياسي، فى رأيه، شكل من أشكال العمل السياسي، إذ تعتمد عليه الحكومات الرشيدة والناضجة فى اتخاذ قراراتها، خصوصاً إذا ابتعد هذا عن إصدار أحكام مطلقة والمعالجة العاطفية، التى لا تستند إلى أدلة واضحة ومنطقية. مع أخذ الآراء والتقديرات المخالفة فى الاعتبار. فوظيفة المحلل السياسى لا تنصرف، فى الأصل، إلى تثبيت قناعات أو زعزعة قناعات أخرى بقدر ما هو محاولة لفهم الحدث على نحو يساعد على بناء تصور وتتبع مسار تطوره واحتمالات هذا التطور فى ضوء المعطيات المتاحة والمقارنة. وتختلف جودة التحليلات السياسية باختلاف مؤهلات القائم بالتحليل وقدرته على الإلمام بالجوانب والأبعاد المختلفة للحدث الذى يدرسه، وبذل الجهد فى تحدى قناعاته الشخصية، قبل تحدى قناعات الآخرين، فمهمة المحلل السياسي، أولاً وقبل أى شيء، هى السعى الدؤوب وراء الحقيقة، وليس مهمته إثبات صحة قناعاته الشخصية أو قناعات الآخرين.

غير أن هذا النهج قد لا يعجب المناصرين المتحمسين لأحد أطراف الصراع، خصوصاً الذين تمنعهم تصوراتهم الأيديولوجية المسبقة عن رؤية الواقع وحقائقه، وكثيراً ما يلجأ هؤلاء إلى توجيه الاتهامات للمحللين الذين يصلون إلى استنتاجات قد لا تتفق مع أهوائهم. وتتراوح هذه الاتهامات بين بث روح انهزامية لدى فى أوساط الجمهور، بافتراض حسن نية المحلل، وشن حرب نفسية لصالح العدو، واتهامهم بـ«خيانة» الوطن. من المؤسف، أن مثل هذه الاتهامات، قد ترهب كثيراً من المحللين عن إعلان آرائهم الحقيقية والنتائج التى توصلوا إليها، خصوصا إذا كان من المتوقع أن تتصادم هذه النتائج مع التوجهات السياسية العامة أو قناعات الجمهور، واللجوء إلى أساليب الترهيب وممارسة «الإرهاب الفكري». ولا يملك هؤلاء شجاعة العدول عن آرائهم إذا تبين لهم خطؤها، ويسعون إلى إضفاء تفسيرات عن التطورات الجارية فى مسار الصراع المفتوح على نحو يثبت قناعاتهم، رغم أن الأحداث تمضى فى وجهة أخرى مغايرة أو تتعارض بشكل صارخ مع تصوراتهم، وغالباً ما يصر هؤلاء على أن التاريخ سيمضى فى النهاية وفق تصوراتهم وأمانيهم، من منطلق إيمانهم بأنهم على حق وبأن الحق لا بد وأن ينتصر فى النهاية، لكن غالبًا ما تكون هذه النهاية فى لحظة ما بعيدة فى المستقبل، إذا تغاضينا عن مسألة ما إذا كان الطرف الذى يدعمونه يتخذ الموقف الصحيح استناداً إلى الواقع ومعطياته. والأخطر أن هؤلاء لا يلتفتون، غالباً، إلى التطورات التى طرأت على مفهوم الحرب ووظيفتها وأنماطها ولا التحولات فى موازين القوى والمواقف على المستويين الإقليمى والدولي، وكانت الحرب الأولى المباشرة بين إسرائيل وإيران كاشفة لخطورة مثل هذا النوع من الاتهامات للتحليلات التى لا توافق هوى هؤلاء أو توقعاتهم. فعدالة القضية لا تضمن بالضرورة سلامة استراتيجية الدفاع أو المقاومة وهزيمة المعتدي، خصوصًا إذا تم تجاهل حركة الواقع ومعطياته.

استشراف المستقبل أم صنعه

هناك فارق آخر مُهم بين دور المحلل السياسى ووظيفته وبين دور السياسى وصانع القرار. وكثيراً ما يؤدى الخلط بين دور كل منهما إلى مشكلات، خصوصًا إذا سعى المحلل إلى التأثير المباشر على صانع القرار وتوجيهه لتفضيل بديل أو حزمة من البدائل، ففى هذا تجاوز لحدود دوره الذى ينحصر فى التوصية بالبدائل فقط. وفهم حدود دور كل من المحلل ورجل السياسة يساعد على بناء علاقة إيجابية تجعل التعاون فيما بينهما مثمرًا. إن الشاغل الأساسى للمحلل السياسى هو تفسير ما يحدث، ويكون التفسير دقيقا كلما كان المحلل قادرًا على وصف ما يحدث وسعيه الدؤوب للإجابة عن سؤالى لماذا؟ وكيف؟، أما السياسى فمنشغل بالأساس بتغيير الواقع وليس بتفسيره، لكن نجاح خطته للتغيير يعتمد إلى حد كبير على دقة التحليل والاستناد إلى معلومات دقيقة، والابتعاد عن المعلومات الخاطئة والمُضللة أو المبالغ فيها. والسياسى الذى يسعى لتوجيه المحلل أو الباحث لتجاهل بيانات أو معلومات أو إعادة صياغة البدائل لتبرير القرار الذى سيتخذه إنما يسعى للتنصل من مسؤوليته عن القرار الذى سيتخذه، وهو بذلك يتخلى عن دوره أو وظيفته الأساسية، ويدفع المحلل إلى التخلى عن مهمته الأساسية المتمثلة فى السعى إلى الوصول إلى تصور أقرب إلى الواقع من خلال تفكيك الحدث إلى عناصره الأولية وتحليلها لفهم الأسباب، وربطه بغيره من أحداث لاستخلاص النتائج، ومعرفة كيفية تطور الحدث. ويتعارض هذا مع فكرة حيادية وموضوعية المحلل السياسى التى تقتضى منه التحرر من الأحكام المسبقة، بما فى ذلك الوقوع تحت تأثير أحداث مشابهة فى السابق دون مراعاة اختلاف الظروف والمعطيات، وتدخل عوامل قد يتغير وزنها النسبى نتيجة لمتغيرات ومستجدات.

فالتحليل السياسى مهمته استشراف المستقبل من خلال تقييم فرص تحقق أحد الاحتمالات المتوقعة، ولا يجب أن يسمح المحلل لتفضيلاته أو تمنياته أو معتقداته وعواطفه ورأيه الخاص بالتأثير على عملية التقييم هذه، وأن يلتزم فى ذلك بأقصى درجة من الحيادية والموضوعية، رغم صعوبة ذلك فى مجال العلوم الاجتماعية والدراسات الإنسانية، حيث يتأثر الباحث بثقافته وبيئته ورؤيته الشخصية وتجربته الخاصة، وأيضاً بالتوجهات السائدة والمزاج العام، ذلك لأن تحرى الحياد والموضوعية قد يفيد فى تقديم بدائل يمكن للسياسى أن يختار الأنسب منها. ومهمة المحلل أسهل إذا كانت محصورة فى نطاق دائرة ضيقة تقتصر على رجال السياسية وصُنَّاع القرار لكنها أصعب فى حالة نشر هذا التحليل على جمهور أوسع. والسياسى غير ملزم بالضرورة باتباع التوصيات المحللين والباحثين، وإنما قد يستفيد من هذه الدراسات من أجل إعادة ترتيب الموقف السياسى بنائيا من أجل تحقيق أهدافه وكسب دعم الآخرين أو دفعهم لذلك. السياسة بهذا المعنى حرفة أو فن، أكثر من كونها منهجا للتحليل. ويعتمد رجل السياسة، بشكل أساسى على مهارته السياسية وبصيرته وحسه القيادي، وقد يستفيد فى ممارسته من الدراسات أو لا يستفيد منها، هذا يتوقف على تقديره للموقف. وهناك أمثلة كثيرة لقرارات سياسية جاءت على الرغم من تقديرات وتوقعات المحللين، ونتوقف هنا عند قرار الرئيس الأمريكى جورج بوش بغزو العراق فى عام ٢٠٠٣، وقرار الرئيس دونالد ترامب بالتدخل فى حرب إسرائيل وإيران بتوجيه ضربات عسكرية لإيران، والذى اتخذه أيضًا على الرغم من السيناريوهات الكارثية التى حذر منها المحللون.

حرب العراق ٢٠٠٣ وحرب إيران ٢٠٢٥

بعد حرب الكويت عام ١٩٩١، ركزت معظم التحليلات الصادرة عن مراكز التفكير الأمريكية على التهديدات والتحديات الإقليمية التى من المحتمل أن تواجهها الولايات المتحدة إذا أقدمت على تغيير نظام الرئيس العراقى صدام حسين بالقوة، وركزت التحليلات بشكل خاص على التوازن الطائفى فى العراق نتيجة لصعود الشيعة سياسيًا بدعم إيراني، استنادا إلى تحليل الحرب العراقية الإيرانية التى استمرت ثمانى سنوات، والدعم الذى تقدمه إيران لأحزاب سياسية شيعية، وركزت أيضاً على تأثير مثل هذه الخطوة على الاستقرار السياسى داخل العراق بسبب تركيبته الطائفية. وأثرت هذه الأوضاع على الاستراتيجية الأمريكية لمواجهة التحدى الذى يمثله صدام حسين للسياسات الأمريكية فى المنطقة، وجرى تناول هذه الاستراتيجية والخيارات المتاحة أمام صانع القرار الأمريكى فى تقرير صدر عام ٢٠٠٠ عن مؤسسة راند للأبحاث، وغيرها من تقارير صدرت من مراكز أبحاث أخرى. ولم تؤثر هذه التقديرات على قرار الرئيس الأمريكى جورج بوش لغزو العراق عسكريا فى عام ١٩٩٣، دون تفويض من الأمم المتحدة، بزعم تفكيك برامج أسلحة الدمار الشامل العراقية. وقدم الاستعداد لهذا الغزو نموذجا لكيفية التأثير على مراكز التفكير وتوجيهها للتركيز على خطر أسلحة الدمار الشامل وإعداد تقارير ملفقة جرى فيها تضخيم الخطر الذى تشكله هذه البرامج على توازن القوى فى منطقة الشرق الأوسط.

فيما تشير تقديرات أخرى أن قرار الحرب اتخذ فى سياق طموحات إدارة الرئيس بوش والمحافظين الجدد لإعادة صياغة موازين القوى الإقليمية والعالمية فى أعقاب هجمات ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١، والتى وظفتها الإدارة الأمريكية بما يخدم هذه الخطة تحت شعار الحرب على «الإرهاب» التى بدأت بغزو أفغانستان أواخر عام ٢٠٠١، ثم غزو العراق فى ٢٠٠٣، والإطاحة بالنظام فى البلدين. وكانت التحليلات السابقة بخصوص النتائج المتوقعة للإطاحة بحكم صدام حسين دقيقة على حد أن التطورات اللاحقة تطابقت مع تلك التوقعات، وفى مقدمتها تعاظم نفوذ الأحزاب الشيعية وتعاظم النفوذ الإيرانى فى العراق وفى سوريا ولبنان، وكذلك فيما يخص عدم الاستقرار الداخلى فى العراق، الذى كان على وشك التفتت إلى ثلاثة دويلات على أسس طائفية وصعود الجماعات الإسلامية المسلحة، مستلهمة أيديولوجية تنظيم القاعدة، ثم صعود تنظيم الدولة الإسلامية وسيطرته على مناطق فى شمال العراق وشمال سوريا، وتهديده لمصالح الولايات المتحدة وحلفائها. وكان لهذه التطورات تأثيرها على سياسات الولايات المتحدة تجاه العراق وسوريا وعلى شكل التعاون العسكرى والتواجد العسكرى ميدانيا وسياساتها لمحاربة التطرف والإرهاب.

لكن ظل التهديد الذى تشكله إيران والشكوك فى أنها تسعى لإنتاج أسلحة نووية بعد الكشف عن أنشطة سرية تنفذها بعيدا عن رقابة الوكالة الدولية للطاقة الذرية هاجساً رئيسيا للولايات المتحدة وحلفائها فى المنطقة، لاسيما إسرائيل ودول الخليج العربية المجاورة لإيران، والتى رأت فى الاتفاق النووى الذى وقعته إيران مع القوى العالمية الست، الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن وألمانيا، فى عام ٢٠١٥، مكافأة لها وأن إيران قد تتحول إلى مصدر تهديد أكبر على مصالح تلك الدول بعد رفع العقوبات الدولية المفروضة عليها وفى ضوء برامجها العسكرية، خصوصاً برنامجها الصاروخى الذى لم يشمله الاتفاق النووي، وكذلك سياستها التى تقوض استقرار الدول المجاورة من خلال الإشراف على تشكيل جماعات مسلحة موالية لها، على غرار جماعة حزب الله فى لبنان، بزعم مقاومة إسرائيل وسياساتها العدوانية تجاه الفلسطينيين ولبنان وسوريا. ولعب تغير السياسات الأمريكية بعد فوز الرئيس الجمهورى دونالد ترامب فى انتخابات عام ٢٠١٦، فى توجيه السياسات الأمريكية فى المنطقة وفقاً لأولويات التهديدات الناشئة نتيجة للانتفاضات التى شهدها العام العربى فى عام ٢٠١١، واندلاع الحرب الأهلية فى سوريا وفى اليمن وما ترتب على ذلك من تقديرات تحذر من نشوب حرب إقليمية واسعة قد تهدد استقرار المنطقة وقد تغرى قوى دولية وإقليمية أخرى بالتدخل.

ويمكن القول أن العامين الماضيين، ومنذ اندلاع الحرب فى غزة، شهدت ما يمكن وصفه بسباق بين السياسيين فى الولايات المتحدة والدول الرئيسية فى المنطقة لاحتواء توقعات المحللين والخبراء السياسيين ومنع التصعيد إلى حرب إقليمية واسعة نتيجة للحرب فى غزة وسعى رئيس الوزراء الإسرائيلى وحكومته اليمينية المتطرفة لفرض أجندتهم السياسية الخاصة بتصفية القضية الفلسطينية وتحويل إسرائيل إلى قوة إقليمية رئيسية للمنطقة استناداً إلى قوتها العسكرية والتكنولوجيا، والتى دفعتها لشن حرب على إيران لقطع الطريق على أى احتمال لنجاح المفاوضات الأمريكية الإيرانية التى تجرى بوساطة عُمانية والتوصل إلى استئناف الاتفاق النووى بين إيران والقوى الغربية لا يشمل تفكيك البرنامج النووى الإيرانى ولا سياسات إيران الإقليمية. وسعت إسرائيل إلى استثمار التفوق الذى حققته على الجبهة اللبنانية وإخراج حزب الله من المواجهة بعد اغتيال زعيمه حسن نصر الله وتحييد الجبهة السورية بعد الإطاحة بحكم الرئيس بشار الأسد الحليف المقرب لإيران وبعد استهدافها للكوادر العلمية والعسكرية والسياسية الإيرانية، وقررت المبادرة بشن حرب على إيران فى مجازفة استراتيجية محسوبة والاطمئنان إلى الدعم الأمريكى وأن الولايات المتحدة ستتدخل فى الوقت المناسب لإنقاذها ووقف الحرب، دون تحقيق أى من الهدفين الرئيسيين، وهما تدمير البرنامج النووى الإيراني، أو تغيير النظام فى إيران.

الجائزة الأساسية التى حققتها إسرائيل من هذه الحرب هو تعطيل المفاوضات النووية الأمريكية الإيرانية، وهو هدف قد يكون كافيا لنتنياهو وحكومته للتركيز على سياساتها الرامية إلى تطبيع العلاقات مع الدول العربية وتصفية القضية الفلسطينية. غير أن نجاح هذه الاستراتيجية مرهون باعتبارات كثيرة معظمها يتعلق بالتطورات السياسية على الساحة الإسرائيلية، وبقرارات القيادة السعودية ومواقف دول عربية أخرى، بينما لا يزال وضع البرنامج النووى الإيرانى وقدراتها العسكرية التى أظهرتها مصدر قلق لإسرائيل. لكن أحد النتائج التى كشفت عنها المواجهات العسكرية التى استمرت ١٢ يوما تتمثل فى صعوبة بناء تحالف عسكرى إقليمى مناوئ لإيران من ناحية، ومحدودية النتائج التى يمكن تحقيقها بالقوة المسلحة، وأيضا حدود تأثير الحملات الدعائية والحرب النفسية.



بقلم: أشرف راضي

«أوراق طه حسين الخاصة ومراسلاته» للدكتور أحمد زكريا الشلق:

وزير جلاد يناصب العميد العداء.. فيغرقه فى الديون!

قبل أن نقرأ

الحقيقة أن بيننا الآن - أطال الله عمره - أستاذًا من ألمع أساتذة التاريخ فى مصر والعالم العربي. لم يكتف ببلوغ هذه المكانة فقط، بل هو محب للأدب وفنونه ، يكتب فى تاريخ الفكر المصرى الحديث .. وعن الأفغانى والشيخ المرصفى .. عن نجيب محفوظ وطه حسين، وذلك بأكثر مما يكتب فى تخصصه، حيث يُدَرِّس تاريخ مصر الحديثة من عهد محمد على إلى عصر جمال عبد الناصر. كان دائما مشغولا بالتنقيب فى الكتب والدراسات، فى الادب والشعر والرواية .. ولعه بنجيب محفوظ أدركناه أيام الجامعة فهو الذى كانت ذاكرته تحتفى بجمل بديعة كاملة لعمنا نجيب، يعيد روايتها وتفسيرها لنا بأسلوبه الفريد .. روى لنا ذات محاضرة واحدة من هذه الجمل البليغة المعبرة، كان يرجو منها أن يعلمنا كيف نختصر القصص الطويلة فى جملة واحدة رشيقة قصيرة: "وأخيرًا فاحت من بيت إبراهيم رائحة التقلية"!







طه حسين يرفض الإذعان لمخاطر تفاقم ديونه البنكية.. فيهدد جامعته بالاستقالة اذا تراجعت عن تمويل كرسى الجغرافيا

رفض مدير بنك مصر منحه قرضا اضافيا قدره ٥٠ جنيها فيلمح بالايعاز للجامعة بوقف ارسال مرتبه للبنك وطالبه بمراجعة سعر الفائدة المرتفع

هذه الجملة وردت فى نص لمحفوظ .. تشعر بها كما عملة معدنية مسكوكة بطريقة مكتملة. لازوائد فى الحواف .. لا نقوش منحنية أو مطموسة .. تختصر الجملة " مشوار حياة إبراهيم (أى ابراهيم) قبل أن يفوح من بيته رائحة التقلية" .. تعبر عما حدث لإبراهيم أثناء مشواره الطويل، وصولا إلى فوحان رائحة التقلية ؟

هذا ما أوضحه - لطلابه - الدكتور احمد: إبراهيم هذا كأى إنسان، لابد أنه كان طالبا ما بالجامعة أو بغيرها.. مشغولا بتدبير أموره الحياتية، إقامته وسكنه فى مدينة الطلبة أو فى حارة شعبية، طعامه وملابسه، كتبه وكراساته، أبحاثه وامتحاناته، ديونه وجوعه.. انتهاءه من دراسته، والتحاقه بالخدمة العسكرية (أو العامة)، ثم خروجه وبحثه عن عمل، وبحثه عن بنت الحلال، فرزقه الله واحدة، ذهب مع أهله لقراءة فاتحتها، ثم اشترى شبكتها، وأسس لها مسكنا وفرشه بالأثاث، ثم عقد قرانه عليها فى عرس بهيج.. وفى الصباحية، فى اليوم التالى للزواج، دخلت العروس المطبخ لإعداد الطعام وهنا.. هنا فقط "فاحت من بيتة رائحة التقلية"! هذا المشوار كله اختزله نجيب محفوظ بهذه الجملة عن "التقلية" .. وماسبق كان شرح أحمد زكريا الشِّلق (الأستاذ .. الدكتور .. المعلم) لهذه الجملة، وكيف اختزل بها نجيب محفوظ مشوارًا طويلا عريضًا فى حياة إنسان - أى إنسان- فى طريقه ليفتح بيتًا ويكون أسرة.

أحب أحمد زكريا الشلق نجيب محفوظ شأننا جميعا ، لكنه أيضا أولى إهتمامًا كبيرًا للدكتور طه حسين عميد الأدب العربى - أستاذ التاريخ اليونانى والرومانى بكلية الآداب جامعة القاهرة.. هكذا نحن أمام أمرين: الاول هو الولع بالأدب وفنونه .. والثانى هو زمالة للعميد .. فقد يتصور أحد أن طه حسين درس اللغة العربية وآدابها وتخصص فيِها.. والحقيقة أن كلاهما العميد والشِّلق درسا التاريخ ، أولهما درسَ اليونانى والرومانى فى السوربون ، والثانى درسَ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة عين شمس.

وربما لم يكتب أحمد زكريا عن نجيب محفوظ ، أو يبحث فى حياته وفكره وأدبه، ولكنه فعل ذلك مع العميد.. فقد عكف على دراسة أوراق طه حسين ومراسلاته، ونشرها فى أجزاء، الأول منها تعرض للفترة من ١٩٢٥ وحتى عام ١٩٤٠، سنوات عمله أستاذا بكلية الآداب جامعة القاهرة.. وهى دراسة أعدها وأشرف عليها دكتور زكريا، ومعه الوزير السابق للثقافة ورئيس دار الكتب والوثائق القومية د. صابر عرب (تحقيق د. صبرى العدل، محمود فوده ، نيفين علوان)

هذه الأجزاء ترسم صورة بانورامية لتاريخ مصر ابتداء من ثلاثينات القرن الماضي، وحتى قرب نهايتها بقليل. أبطال هذه الرسائل والأوراق الخاصة ابتداء من صاحب الجلالة ملك مصر فاروق الأول (٢٨ أبريل ١٩٣٦- ٢٦ يوليو١٩٥٢) حيث كتب له رسالة فى يناير ١٩٣٨ من دون تحديد لليوم.. مرورًا بأساطير مصرية كالعقاد وأحمد لطفى السيد وعلى ومصطفى عبد الرازق والدكاترة زكى مبارك ومحمد مندور وسليم حسن ونحيب الهلالى ومى زيادة وسليمان حزين وأحمد أمين وخليل مطران وعبد الرزاق السنهورى وتوفيق الحكيم وسهير القلماوى وأمين الخولى ومحمد شعيرة ومصطفى الديوانى ومصطفى زيوار، وليس انتهاء بوزراء المعارف والداخلية والمالية وحتى مدير بنك مصر، الذى تجد له رسائل متبادلة مع العميد، تكشف لك أنه كان "مديونا" مثل أى مبدع مصري، وأنه يمكن أن يأتى عليه أول الشهر فلا يجد له مرتبا يقبضه، بعد أن ذهبت أمواله ومكافأته وفاء لبعض ديونه!!

الرجل ذو التاريخ الأسود!

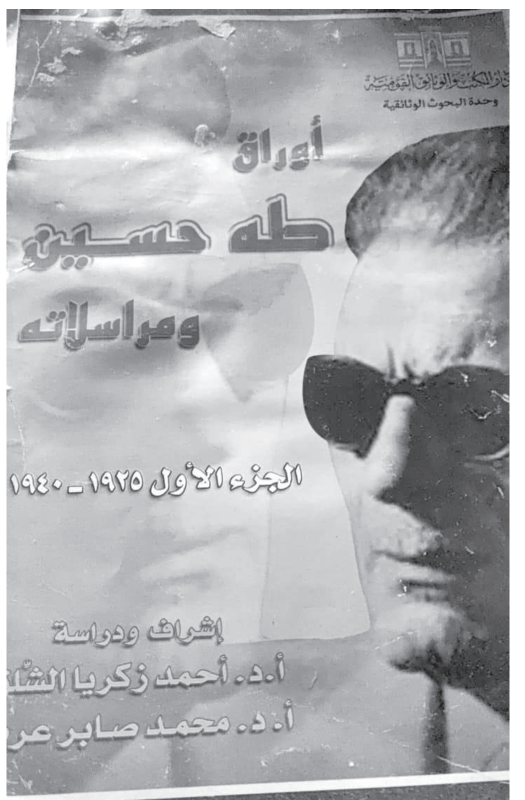
صورة مصر فى الثلاثينات، كتبها ورسمها العميد فى رسالة خطيرة أرسلها لرجل تاريخه أسود، هو إسماعيل صدقى باشا (يونيو ١٨٧٥ -٩ يوليو ١٩٥٠) وهو أحد أخطر الشخصيات فى تاريخ مصر وأكثرها استبدادًا، ولعل وجوده فى السلطة ورئاسته للوزارة أكثر من مرة هو الذى عجل بسقوط الملكية فى مصر. واندلاع ثورة يوليو ١٩٥٢. هذا الرجل عندما تولى رئاسة الوزراء فى عهد الملك فؤاد الأول وضع دستورا جديدًا عام ١٩٣٠، يكرس فيه نفوذ الملك أكثر وأكثر، وقد أثار احتجاجات مذهلة، أدت الى رفضه وإعادة دستور ١٩٢٣. عانت مصر كلها، والجامعة على وجه الخصوص، من استبداد حكومة إسماعيل صدقى فى فترة الثلاثينيات، حين شهدت الجامعة فى عام ١٩٣٢ معركة شهيرة من معارك استقلال الجامعة، حيث عمدت حكومة صدقى إلى الإطاحة بطه حسين من عمادة كلية الآداب. وانتفض الطلاب، وتظاهروا عند قصر عابدين، مطالبين الملك بعودة طه حسين إلى منصب العمادة احتراما لمبدأ استقلال الجامعة. وأيدهم الأساتذة، وتوقفت الدراسة وعم الاضطراب الجامعة، ولجأ إسماعيل صدقى إلى الحل الأمني. فأرسل قوات الشرطة إلى داخل الحرم الجامعى لفض اعتصام الطلاب، فقدّم لطفى السيد رئيس الجامعة آنذاك استقالته احتجاجا على الإجراءات القمعية لحكومة صدقى واعتدائه على استقلال الجامعة.

عاش طه حسين فى فرنسا فى أعقاب عزله من منصب العميد.. وهناك فى باريس حيث يقضى شهور الصيف مع أسرته، يكون على تواصل مع محبيه وحتى أعدائه!

●هل يمكننا أن نعتبر أن العميد طه حسين يكن كراهية شخصية للمستبد إسماعيل صدقى رئيس الوزراء؟

كانت إقالة العميد سببا فى تعثره ماليًا بالطبع، ويكشف ذلك الدكتور زكريا، والمراسلات البنكية المتبادلة بينه وبين مدير بنك مصر الذى رفض أن يقرضه بتعليمات طبعًا. يقول الدكتور أحمد زكريا: مجموعة المراسلات هذه تضم "ملفًا كبيرًا عن قضية الحرية الفكرية وحرية البحث العلمى فى مصر واصطدامها بالسياسة، منذ أثيرت أزمة كتاب فى الشعر الجاهلى عام ١٩٢٦. احتفظ طه حسين بالوثائق، لإدراكه أن الحكومة (ونوابها) ستثير الازمة مجددًا عام ١٩٣٢، تمهيدًا لإطاحته من منصبه، كما توضح تدهور أوضاع الجامعة بعد إبعاده عنها، وتدخل الوزارة فى شئونها، كما توضح أن العميد طه حسين الذى تحمل تبعة قراره بعدم الرضوخ لمطالب صدقي، صار يعانى فى حياته الخاصة أشد المعاناة، بعد ضياع مصدر رزقه، واضطراره إلى الاقتراض ليتمكن من أن يعيش.





أصداء الضائقة المالية هل بلغت العلاّمة سليم حسن.. فطلب منه العدول عن شراء حذاء جلد طبيعي لـ «سعاد»؟

شومة العقاد ومرزبته النقدية مغلفة بـ «الفازلين» و «بودرة التلك» رحمة برأس عميد الأدب العربي!

د. أحمد زكريا يحاضر طلابه عن جملة نجيب محفوظ البديعة: «وأخيرًا فاحت من بيت إبراهيم رائحة التقلية»!


(٥٤) رسالة من طه حسين إلى إسماعيل صدقى باشا

باريس فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣١

سيدى صاحب المعالى:


سيدى صاحب السعادة


(١) رسالة من عباس محمود العقاد

٢١ يناير ١٩٢٥ (القاهرة)

حضرة الأستاذ القدير الدكتور طه حسين:

د. زكريا: أوراق ومراسلات محفوظ الخاصة تكشف أسرار عصر بأكمله وتروى حوارًا عميقًا بين شوامخ الادب والفكر

طه حسين كان يعلم أن ازمة كتابه الشعر الجاهلى سوف تندلع مرة أخرى .. فاحتفظ بوثائقها للمواجهة العاصفة.

تضحية فادحة.. وديون أفدح

عميد الكلية طه حسين يرسل خطابا جديدًا إلى مدير الجامعة باستقالته فى ١٦مايو ١٩٣٨ إن لم يرد إلى الكلية كرسى الجغرافية الذى تقرر لها واعتمد جزءا من ميزانيته، لكنه لم ينفذ، ويلاحظ الدكتور احمد زكريا أن طه حسين يهدد بالاستقالة مبديًا استعداده للتضحية به، حتى لايضحى بمصالح كليته، وكان هو نفسه يعانى من ضائقة مالية، كشفت عنها رسالته إلى مدير بنك مصر، التى يطلب فيها منحه سلفه شخصية قدرها خمسون جنيها تخصم أقساطها من مرتبه !

فبتاريخ ١٤يونيو ١٩٣٨ يبعث العميد طه حسين برسالته إلى مدير بنك مصر.. جاء فيها:

حضرة صاحب السعادة مدير بنك مصر:

أتشرف بابلاغكم أنى تلقيت كتابكم الذى تأسفون فيه لعدم اجابة ماطلبته من اقراضى خمسين جنيها تضاف إلى ماعلى للبنك، ومن وقف خصم القسط الذى يستقطع مرتبى إلى أن أعود من أوروبا فى أول أكتوبر. فاسمحوا لى بأن ألاحظ آسفًا أننى لم أكن انتظر من البنك الذى أعامله معاملة حسنة فيما أظن هذا الرد. وازاء تشدد البنك على سأضطر إلى أن اطلب إلى الجامعة ألا ترسل مرتبى إليه وسأستانف دفع القسط من أول أكتوبر. وأرجو منذ الآن أن تتفضلوا فتأمروا بالنظر فيما يتقاضاه البنك من الفوائد على هذا الدين، فقد يخيل إلى أنها مرتفعة جدًا، وأنى قد دفعت من الفوائد ما يحسن معه النظر فى تخفيضها. (والخطاب ممهور بخاتم طه حسين).

جزمة سعاد!

هل وصلت أصداء هذه الضائقة المالية إلى سليم حسن (عالم الآثار وتاريخ مصر القديمة وصاحب الموسوعة الشهيرة فى تاريخ مصر) وكان قد بعث برسالة إلى طه حسين فى باريس يختمها بالسلام إلى الست أم فونت وإلى السيدة جيجيت والسيد كلود والأخ فريد (أسرة العميد) "على أن أغرب مافى خاتمة الرسالة قول سليم حسن: "وأما سعاد فأرجو أن تكون أحسن حالًا مما كانت عليه، ولا أريد أن تشترى جزمة طبيعية بل اشترى لها أى نوع آخر من الجزم"!

بحق يعتبر الدكتور أحمد زكريا أن هذه الرسائل على اختلاف مضامينها مصدرا مهما للكتابة ، ليس عن طه حسين فحسب، وإنما عن عصر بكامله ومن جميع جوانبه، والرسائل المنشورة ليست مجرد خطابات شخصية وإنما هى بمثابة وثائق أدبية وفكرية وثقافية أقرب إلى الحوارات بين شوامخ المفكرين والمثقفين، تشكل فى مجملها ملامح عصر بأكمله، حيث تناولت كل القضايا ابتداء بالادب وانتهاء بالمعارك الحزبية، وعلى الرغم من أن محورها الثقافة والفكر، لكن بعضها تناول قضايا شخصية وإنسانية تعد ذات قيمة أدبية رفيعة المستوى.

رسالة إلى الملك فاروق

ولعله مما يجدر الإشارة إليه هنا، تلك الرسالة الخاصة بملك مصر فاروق الأول المؤرخة فى يناير ١٩٣٨:

مولاى صاحب الجلالة :

مقامك السامى يامولاى عنوان رائع لمصر الخالدة، فشخصك الكريم رمز لمجدها العظيم ، وشبابك النضر صورة لأملها الباسم، بذلك يؤمن طلاب الثقافة من معلمين ومتعلمين وهم ينتهزون فرصة قرانكم السعيد، فيستأذنون فى أن يرفعوا إلى جلالتكم هديتهم هذه الضئيلة فى نفسها الكبيرة فى غايتها، التى إن امتازت بشيء فإنما تمتاز بانها صورة ماتخلص مصر لكم من حب، وما تعقد بكم من الرجاء، أتم الله على جلالتكم نعمته، وأيد ملككم بروح منه وجعل عصركم السعيد عيدًا كله لشعبكم الوفى الأمين.

يلمح الدكتور احمد زكريا أن الرسالة عبارة عن مسودة بالقلم الرصاص وفى أسفلها تاريخ يناير ١٩٣٨ دون تحديد لليوم، ويلاحظ أن المصريين جميعا كانوا يستبشرون خيرًا بالملك الشاب فاروق الأول فى سنواته الأولى، وكان من واجب الشخصيات العامة تهنئته بمناسبة عقد قرانه الذى تم فى ٢٠ يناير ١٩٣٨ على صافيناز ذو الفقار التى حملت اسم الملكة فريدة.

شومة ومرزبة وفازلين وبودرة تلك !

رسالة العقاد أو شومته أو مرزبته الى طه حسن والتى تتصدر هذه المجموعة من الرسائل فهى تكشف أن العقاد كان يكتب بالشومة والمرزبة وإن كان يضع على رأسيهما بعضا من بودرة التلك المرطبة، أو الفازلين الذى يجعل الواحدة تنزلق فلا تدمى كليا بحيث تتطلب العلاج بالميكروكروم (بلغة ذلك الزمان) أو البيتادين بلغة هذه الأيام.

الرسالة البليغة الكاشفة أولا عن أسلوبى الكاتبين، طه حسين والعقاد، ستطلع القاريء الكريم أيضا على كيف كانت صورة مصر فى ثلاثينات القرن الماضي.. قبل أعوام قلائل من طوفان التغيير الذى اندلع عام ١٩٥٢، مع قيام ثورة يوليو.

من عباس محمود العقاد

فى ٢١يناير ١٩٢٥ حضرة الأستاذ القدير الدكتور طه حسين: اشكر لك ثناءك واهتمامك وأبادلك التحية مدحًا وقدحًا بالصاع صاعين والباع باعين! وأعجب بشجاعتك فى تقريظ كتابى ونقده فى صحيفة "السياسة " وإن كنت أسأل نفسى هل هى شجاعة حقا! فإن الشجاعة هى معالجة المكروه والإقدام على المحذور، ولا أظنك إلا ملتذًا بما فى شجاعتك الأدبية من إيذاء عقائد الناس واحراج صدورهم ولو كانوا من أنصارك وأصحابك! فهى شجاعة حبيبة إلى نفسك تقدم بك على ما تهوى لا على ما تكره، وتجنح بك إلى ما ينيلك لذة وسرورًا لا إلى ما يكلفك جهدًا وصبرًا، وكأنك تحتاج أحيانا إلى شجاعة للكف عن هذه الشجاعة، ولا أزيد على ذلك فنخوض فى غموض الفلسفة التى قلت إنك لا تسيغها، وربما كان ذلك لأنك تقرأها قراءة متفرج لا قراءة من يهتم بموضوعاتها ويشغل خاطره بالبحث عن أسرارها.

أما كلامك عن الخيال فى رسالة الغفران، فأنا أوافقك أولا على تعريف الخيال وأرى معك أنه ملكة تستمد الصور والنتائج من الأشياء الموجودة وتؤلف بينها تأليفًا غريبًا يبهر النفس ويفتنها"

الرسالة تنتقل بعد ذلك إلى مراحل اخرى من قسوة اللغة وشدة النقد وإبراز التناقضات إبرازا يهز كيان صاحبه، ولعل هذا كان سببا فى أن الدكتور أحمد زكريا والدكتور صابر حينما أعدا رسالة العقاد للنشر وقد تصدرت الكتاب فإنهما لم يعلقا على الرسالة بأى كلمة !

فى الحلقة التالية:

الساخر طه حسين مجاملًا جلاده إسماعيل صدقي: شكرًا على استبدادك!

بقلم: محمود الشربينى

أوراق العميد ومراسلاته الخاصة تكشف :

إيذاء طـه حسيـن: فتش عن الدكتاتورية

عندما يكون المدنيون جلادون و أكثر طغيانا وأشد استبدادا من العسكريين! على ضوء ما وثقه وسجله الدكتور أحمد زكريا الشلق، عن العميد طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣) فى مؤلف ضخم يحتوى على أوراقه ومراسلاته الخاصة – يتكون من ثلاثة أجزاء، يقع الأول منها فى ٣٩٧ صفحة من القطع الكبير، والثانى فى ٤٨٤ صفحة والجزآن الآخران بعنوان المقالات الصحفية من ١٩٠٨ حتى ١٩٦٧ ويقع في٧٥٢ صفحة والأخير يتضمن بقية المقالات ويقع في٤٩٢ صفحة – سيكتشف المتأمل فى سيرة العميد أننا اليوم ونحن فى العام ٢٠٢٥ لم نتقدم كثيرا عما كنا نقف على عتباته فى ذلك الزمان البعيد من بدايات القرن العشرين!!كانت القضايا التى تجمعنا حولها هى الاستقلال وطرد الاحتلال الاجنبى من مصر، وتمصير الاقتصاد الوطني! كنا على أعتاب الاستقلال، وبعد الثورة المجيدة فى يوليو ٥٢ حصلنا عليه، تم إجلاء العدو الانجليزى عن البلاد، لكن الاحتلال الداخلى لم نستطع هزيمته حتى الآن!





رغم مرور قرن على سقوط الاحتلال الأجنبى .. مازال الاحتلال الداخلى قائما بشدة!

إسماعيل صدقى رئيس الوزراء المصري.. وجه بغيض للديكتاتورية والاستبداد وولاؤه للقصر والاستعمار الانجليزي!

كنا نظن أننا ونحن على أعتاب هزيمة العدو الاجنبي، سنهزم العدو الداخلى أيضا.. كنا على عتبات الحرية والديمقراطية والتقدم ومصارعة الاستبداد.. كافحت مصر فى صدر القرن الماضى من أجل كل هذا، وناضلت بقوة من أجل الاستقلال.. لكن الغريب أنه الوحيد الذى تحقق، أما الحرية والديمقراطية ومصارعة الاستبداد فمازالت قائمة!

مازالت نفس المطالب هى التى طالب بها ودعا اليها رموز مصر، منذ بداية القرن العشرين وحتى العشرية الثالثة من القرن الواحد والعشرين!

العمادة بالانتخاب

بحسب ما دونه وسجله الدكتور أحمد زكريا الشلق واحتفظ به التاريخ المصري، فإن طه حسين كان أول عميد مصرى منتخب فى تاريخ الجامعات المصرية. وصل إلى منصب العمادة بكلية الآداب مرتين بالانتخاب . فى المرة الاولى عام ١٩٢٨ انتخبه زملاؤه بالإجماع.. ومع هذا رجاه وزير المعارف على الشمسى باشا – وكان قد وقف فى صفه أثناء أزمة كتاب الشعر الجاهلى – أن يتنازل عن منصبه هذا، لكى لا يعطى ذريعة للأساتذة الأجانب الموجودين فى الجامعة بالاستحواذ على مناصب الجامعة، استجاب العميد لرجاء الشمسى باشا مشترطا أمرًا واحدًا وهى أن يمارس مهامة لمدة يوم واحد فقط، وقد كان. ومرة اخرى انتخب طه حسين عميدًا لكلية الآداب فى عام ١٩٣٠، بعد انتهاء مدة العميد الفرنسى مسيو ميشو، وظل فى منصبه حتى تم فصله منه فى مارس ١٩٣٢.. بقرار من الجلاد اسماعيل صدقى باشا رئيس وزراء مصر أنذاك.

إسقاط الفيلسوف الديمقراطى !

مايهمنا هنا اولا فى هذه السطور، هو أن مصر التى كانت تتقدم صوب الحرية والديمقراطية فى صدر القرن الماضي، عرفت الانتخابات الديمقراطية فى ذلك الزمن البعيد، قبل قرن أو أكثر قليلا، فى داخل الجامعات المصرية ! أى منارة تلك كانت تتجلى فى هذه المؤسسة التى عرفت الرجل الأهم فى بداية القرن وهو فيلسوف الجيل لطفى السيد؟ هذا الفيلسوف الذى كان ملء السمع والبصر، واعتبر استاذ الجيل، ومع هذا عندما رشح نفسه للانتخابات البرلمانية وكانت شعبيته كبيرة، سقط سقوطا مدويا بخديعة بسيطة وحيلة لجا اليها منافسه فى الدائرة عبد الحميد بركات، حيث اوعز للبسطاء من الناخبين أن لطفى السيد رجل علماني، كافر.. وسيأتى غدا ليحدثهم عن الديمقراطية وهى تعنى الكفر.. وقد كان!

كانت هذه صياغة وشرحا قدمه لنا ونحن طلاب أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر فى كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٨٤ الدكتور أحمد زكريا الشلق الذى ننهل من كتابه أوراق طه حسين ومراسلاته الخاصة هذه السطور.

هذه الواقعة على أهميتها رويت بأكثر من طريقة، وعولجت بأكثر من تفسير، والغريب أن بطلها ينفى كليا أن تكون هى السبب! قدمت الواقعة بطرق مختلفة.. فالصديق المفكر والمبدع د. عمار على حسن كتبها فى مقال له بهذه الطريقة: «عام ١٩١٣، خسر المفكر أحمد لطفى السيد انتخابات الجمعية التشريعية المصرية، بعد أن اتهمه منافسه أمام أبناء الدائرة الريفية بأنه «ديمقراطي»، أى يقبل أن تعاشر زوجته رجالًا آخرين. وبعد أكثر من قرن، ما زال الليبراليون يواجهون التهم نفسها، على شكل «مدنية يعنى أمك متلبسش حجاب».(المنصة فى ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٤)

– وروتها الكاتبة الصحفية اقبال بركة بشكل آخر .. كتبت فى المصرى اليوم بتاريخ ١٦-٣-٢٠١٩ تقول : «... فى عام ١٩١٣م رشح لطفى السيد نفسه لمجلس النواب فى مركز السنبلاوين– محافظة الدقهلية، ودعا فى خطبه إلى الديمقراطية، واستغل مُنافسه جهل الناخبين، فزعم لهم أن الديَمقراطية معناها أن تتزوج المرأة أربعة رجال، كما يتزوج الرجل أربع نساء!، وعندما سألوا لطفى السيد: هل ينادى حقا بالديمقراطية؟، أكد ذلك، دون أن يشرح لهم المعنى الحقيقى للديمقراطية، فظنوا أن ما قاله خصمه صحيح، وأسقطوه فى الانتخابات».

– عصام الزهيرى كتب عن نفس الواقعة بالطريقة التالية: «تلك الانتخابات التى جرت من مائةٍ وعشرةٍ من الأعوام تركت أثرا عميقا على السياسة والانتخابات فى مصر إلى اليوم، وهذا الأثر نتج عن خطأ ارتكبه «أستاذ الجيل» و«أرسطو العرب» و«أبو الجامعة» و«أبو الليبرالية المصرية» على ألقابه الكثيرة المشتهرة، المفكر والسياسى أحمد لطفى السيد (١٨٧٢ – ١٩٦٣).

تضعنا تلك الواقعة وما ترتب عليها، أمام ممارسة متكررة للساسة فى مصر، عندما يتنكرون لمبادئهم المعلنة، ويسلكون مسالك منافية لتلك المبادئ، متصورين أن مجرد الإعلان كاف لكسب المصداقية السياسية والحفاظ عليها، مقللين من شأن العامة – الناخبين أصحاب الأصوات – الذين وإن صودرت أصواتهم – كما يتكرر فى الانتخابات المصرية عبر تاريخها – تظل لديهم نظرة ثاقبة يكشفون بها المتلاعبين بهم، ولو بعد حين».

قصة حياتى ..ترفض وتنفى الشائعات

وبحسب مذكرات الأستاذ احمد لطفى السيد المعنونة «قصة حياتي» فإنه يرفض كل ما نقل واستقر عن هذا الأمر – سقوطه فى الانتخابات – على مر السنين فى التاريخ المصرى برمته ! ويقول فى كتابه: «وقد أشيع أن الذى أسقطنى هو دعوتى إلى الديموقراطية التى كانت تؤول تأويلات بين الناخبين فيها خروج على الدين الإسلامي، ولكنى لا أعرف شيئًا عن هذه الإشاعة التى قيل إنها شاعت بين الناخبين، كما لا أعرف سببا لسقوطى فى الانتخابات إلا تدخل الحكومة وعملها لإسقاطي».

المدنيون ايضا جلادون وديكتاتوريون!

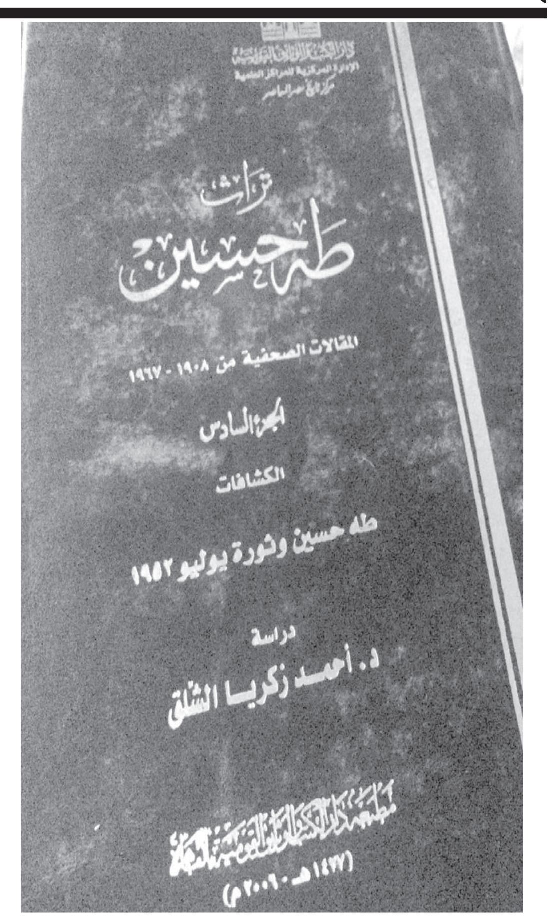
الذى نلاحظه هنا ان قضية الانتخابات والديمقراطية التى

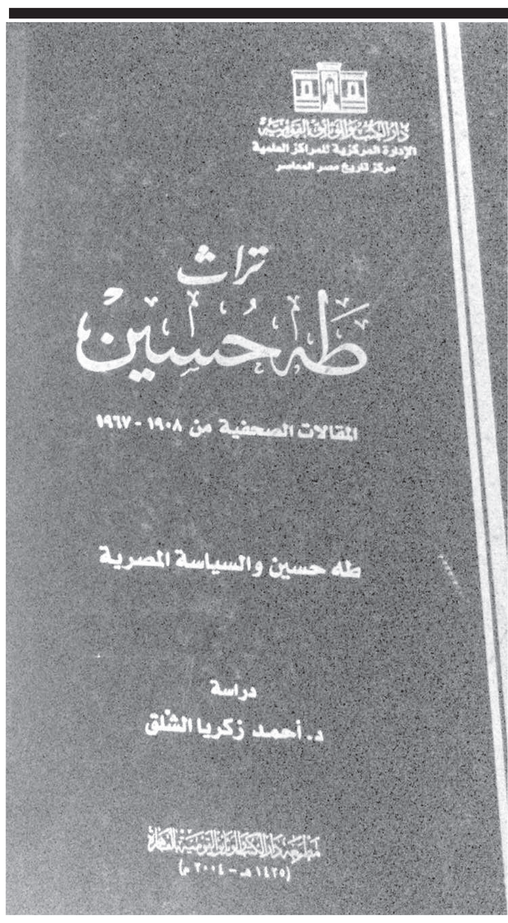
سر الشجيرات الاربعة التى اصر عم اسماعيل البستانى على نقلها إلى السكن الجديد للعميد !

أول مصرى يتقلد منصب عمادة كلية الآداب بالانتخاب..الفارق الديمقراطى بين الأمس واليوم عمره مائة عام

كبار الباحثين وطلبة الدكتوراه المبتعثون إلى الخارج ارتبطوا به وغسلوا همومهم النفسية والمادية على ضفافه

خدعة عبد الحميد بركات الديمقراطية لإسقاط فيلسوف الجيل احمد لطفى السيد فى الانتخابات التشريعية!





الجلاد صدقى باشا حكم بالحديد والنار..ألغى دستور ٢٣ وأسس حزبًا جديدًا وصحيفة تنطق بلسانه إمعانًا فى إهدار سلطات الأمة !

ناصب العميد العداء .. فشل فى اغرائه وشراء ذمته وتأييده فنقله لوظيفة أصغر دفعته للاستدانه من البنوك !

ايذاء طه حسين امتد الى طرده من السكن المخصص لأساتذة الجامعة .. الشركة البلجيكية نقلته من شقة الى اخرى ليدفع ايجارا عنها!

مساجلات فكرية وثقافية وشخصية ربطت بين العميد وكبار المثقفين من شراسة العقاد إلى بساطة مندور وسليم حسن وسليمان حزين

كانت وماتزال حجر زاوية فى التاريخ المصرى الحديث والمعاصر، كان يمكن أن تؤدى إلى إقامة جمهورية مصرية ديمقراطية حديثة، لا تترك فيها الديكتاتورية العسكرية هذه الندوب الغائرة .. التى مازالت تحكم الخناق حول عنق مصر إلى اليوم. العسكر ليسوا وحدهم الذى انقادوا للحكم الديكتاتورى الاعمي، وانما هناك رجال حكموا بالحديد والنار أيضا منهم صدقى باشا هذا الذى ترأس وزراء مصر، وحاول أن يحرك العميد كما عرائس الماريونيت. فقد طلب منه أولا أن يشرف على تحرير صحيفة الشعب، فى الشهر نفسه الذى انتخب عميدا للكلية، وعرض عليه أن يكون ذلك بأى شروط يطلبها، حتى لو كتب مقالاته بدون توقيع.. لكنه اعتذر عن ذلك، ولم يرضخ أبدا له لانه راى فى ذلك مقدمة للإخلال باستقلال الجامعة.. كل هذا عجل بالصدام بين الجانبين، لكن مصدرا آخر من مصادر تلك الفترة يشير إلى أن احد الاحتفالات التى كان مقررا إقامتها بحضور الملك، ويتم خلالها توزيع جوائز ونحو ذلك لم تعجب الملك، حيث كان مردودها قليلا وليس كما توقع، فما كان منه إلا أن أمر بنقل العميد إلى وظيفة مراقب فى وزارة المعارف!.

– فى جلسة بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٣٢ يقرر مجلس الوزراء برئاسة إسماعيل صدقى باشا عزل طه حسين، وهكذا ينقطع مورد رزق الأسرة الوحيد مرتب الأستاذ العميد. وتُبلَّغ كل الجهات أن طه حسين شخص مغضوب عليه من السراى ومن الحكومة، وأن التعاون أو التعامل معه يُعتبر تصرفًا غير ودى ضد حكومة مصر وملكها.

وتُبلَّغ شركة مصر الجديدة «البلجيكية» أن طه حسين لم يعد من موظفى الحكومة المصرية، ولذلك يتعين عليه أن يخلى المسكن الذى تؤجره الشركة له فى شارع المنيا؛ لأنه من المساكن المخصصة لسُكنى موظفى الحكومة. والشركة البلجيكية مضطرة للتنفيذ، فهى تطلب من طه حسين أن يترك مسكنه الذى قررت الحكومة أنه لم يعد له حق فى سكناه، ولكنها تبلغه أن المسكن المجاور «ومدخله فى شارع الساكركين» ملك لها، وليس مخصصًا للموظفين، وهو خالٍ فى الوقت الحاضر فهى تؤجره له.

يبدأ نقل الأثاث من مسكن العميد إلى المسكن الجديد (حملا على الرؤوس والأكتاف) ويساعد فى ذلك بهمة – وبسخط على الحكومة شديد – عم إسماعيل.

عم إسماعيل البستانى وشجيرات طه حسين

البستانى عم اسماعيل عاد مرة اخرى – خلال شهر إبريل – إلى الشقة القديمة بعد انتهاء النقل، ومعه فأس كبيرة، وبدأ يحفر حفرًا كبيرة حول الشجيرات الأربع التى كان العميد قد اعتاد أن يقرأ فى ظلها، وكان تصميمه مؤكدا على ضرورة أن يخلعها، وأن يحملها وينقلها إلى حديقة البيت الجديد، فى مكان مماثل للمكان الذى كانت مزروعة فيه. هذه الأشجار هى أشجار طه حسين، وهى لذلكِ لا شك سترفض أن تموت حتى لو نُقلت فى أول الصيف، فى مصر الجديدة، وهى كبيرة ضخمة ذات جذور وفروع.

درس بليغ للعميد فى مقاومة الاستبداد

يعطى عميد الأدب العربى – وهناك إشكالية حول هذا اللقب قد نتطرق إليها فيما بعد، بشكل مختلف تماما عن لقب العميد الآخر، والذى ناله بالانتخاب ك«عميد» لكلية الآداب – درسا بليغا للكل، فى أهمية وضرورة مواجهة الاستبداد والديكتاتورية، التى سادت فى عهد صدقى باشا، فقد قرر العميد المواجهة، فرغم أنه فقد منصبه ومصدر رزقه، إلا أنه بالقطع لم ينعزل أو يبتعد أو ينكفئ على نفسه، ولم يفقد مكانته لدى أصدقائه وتلاميذه وقرائه، ولكنه – كما يشير مؤلفنا الدكتور احمد زكريا الشلق– انتقل إلى مرحلة جديدة من حياته، تخفف فيها من قيود الوظيفة ومتطلباتها، وبدأ يشتغل بالصحافة من جديد، والسياسية منها بشكل خاص، بين عامى ١٩٣٢ و١٩٣٤، فحرر المقالات الافتتاحية لصحيفة السياسة، وبعد عام تقريبا انتقل إلى صحيفة الوفد المسائية «كوكب الشرق»، ورسخ فى يقينه أن مكانه الطبيعى هو فى صحف حزب الوفد وكان فى تلك الايام يعرف بإنه حزب الاغلبية الشعبية، والتى بالأساس انتصرت لقضيته داخل الجامعة وخارجها.. وعلى الرغم من انخراط العميد فى السياسة، إلا انه لم يهجر الادب.. ذلك العالم الأثير لديه، فحرص على موالاة الصحف بأحدث مساهمات نقدية له ولم يكد يمر عام إلا وقد جمع مقالاته بين دفتى كتاب، عن حافظ وشوقى وصدر عام ١٩٣٣، كما نشر كتابه «فى الصيف»، كما نشر الجزء الأول من كتابه المهم «على هامش السيرة» .

الدكتور أحمد زكريا الشلق يرى أن قراءة رسائل طه حسين وأوراقه الخاصة – ونحن نرى معه – تكشف عن جوانب خصبة من حياته، وذات أبعاد إنسانية ونبل ورقى لعله أسهم فى تكوين كثير من تلاميذه فكريا وثقافيا.. ويصب على المدى البعيد فى مشروعه الثقافي.

ولاحظ د. زكريا أن طه حسين كان يمتلك قدرة عالية ومثابرة على متابعة طلابه فى مختلف مراحل تكوينهم العلمي، وكان يثابر على متابعتهم وإرشادهم ويقترح عليهم الموضوعات فى حنو وحزم، ويساهم كذلك فى حل مشكلات الابتعاث التى تواجههم، حتى يعودوا إلى مصر و«تتمصر الجامعة المصرية» على أيديهم ويحلون محل الأساتذة الأجانب. كانت قضية التمصير مطروحة قبل وبعد ثورة يوليو، تمصير الاقتصاد الوطني، والذى قام به ودعا إليه رجال وطنيون مثل الوطنى البارز طلعت حرب، الذى أسس بنك مصر، والمعروف بأنه أبو الاقتصاد الوطني، ثم وبعد الثورة كان هم الثوار بقيادة جمال عبد الناصر تمصير البنوك والمؤسسات الأجنبية.. وطبقا للدكتورة هدى جمال عبد الناصر فى مقال لها فى عام ٢٠١٤ بالمصرى اليوم، فقد برز دور القطاع الخاص فى الصناعة فى مصر على يد طلعت حرب، وكانت القضية فى ذلك الوقت وطنية، فلقد أراد طلعت حرب ومن معه تمصير الاقتصاد الوطنى، ولكن بصورة مختلفة عما عهدناه من كلمة «تمصير»، والتى تمت بالنسبة للممتلكات البريطانية والفرنسية، بعد العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦.

وأضافت: إن التمصير هنا كان يعنى مبادرة الطبقة الغنية فى مصر وإقبالها على المشاركة فى مشروعات كبيرة، لتحل محل رؤوس الأموال الأجنبية، التى كانت تمارس نفوذا كبيرا على الحكم. وفعلا نجحت مبادرة طلعت حرب إلى حد كبير، ولكن غاب عنها البعد الاجتماعى، وظلت الطبقة العاملة فى أسوأ الأوضاع.

ومثلما كانت هناك محاولات لتمصير الاقتصاد، كانت هناك محاولات لتمصير أساتذة الجامعات فى مصر.. ولذلك كان هناك فى الخارج مبتعثون مصريون كثر.. قبل الثورة كان هناك الدكاترة محمد مندور والدكاترة زكى مبارك والدكتور محمد عوض والعلامة سليم حسن وسليمان حزين وغيرهم .

كانت معاناة هؤلاء كبيرة جدا فى تدبير أمورهم المعيشية، بالمبالغ المالية المخصصة للطلاب، وفى رسالة من محمد مندور – أحد كبار النقاد فى مصر فى الخمسينات والستينات – كان يكتب للدكتور طه باستمرار وفى واحدة من الرسائل المؤرخة فى ٣١ يوليو ١٩٢٩ كتب يقول مخاطبا العميد: من العجيب ان تعلقى بكم يزداد يوما عن يوم سواء لاقيتكم أم لا ألاقيكم ، إلى ان يقول «إننى فى خيالى اتصورك منصتا ومحاضرا وماشيا وضاحكا واتصورك ناقدا مستخفا»

اما الدكتور مصطفى الديوانى – وكان وقتذاك مديرا للبعثة التعليمية المصرية فى باريس فيكتب من باريس رسالة للعميد مؤرخة فى ٢٦ نوفمبر ١٩٣٠ يقول فيها: «علمت أن أولى الأمر يبحثون الآن عن مدير للبعثة مكانى بباريس، وبما أنى على جهل تام بكل مايدبر لى أو عليّ، فهل تسمح لى أن أسألك بإفادتى عما يدبر فى ذلك الآن، إذا لم يكلفك هذا عناء كبيرا، ولى عشم فى أخوتك على نحو ما أظهرته نحوى دائما من الثقة التى أفتخر بها».

بقلم: محمود الشربينى

قالت العرب

"من يدخل الجنة اولاً؟ من مات برصاص العدو ام من مات برصاص الأخ؟ بعض الفقهاء يقول: رب عدوُ لك ولدته أمّك"

المشهد
العدد 340 - السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 15 يوليو 2025 م الموافق 20 محرم 1447 هـ

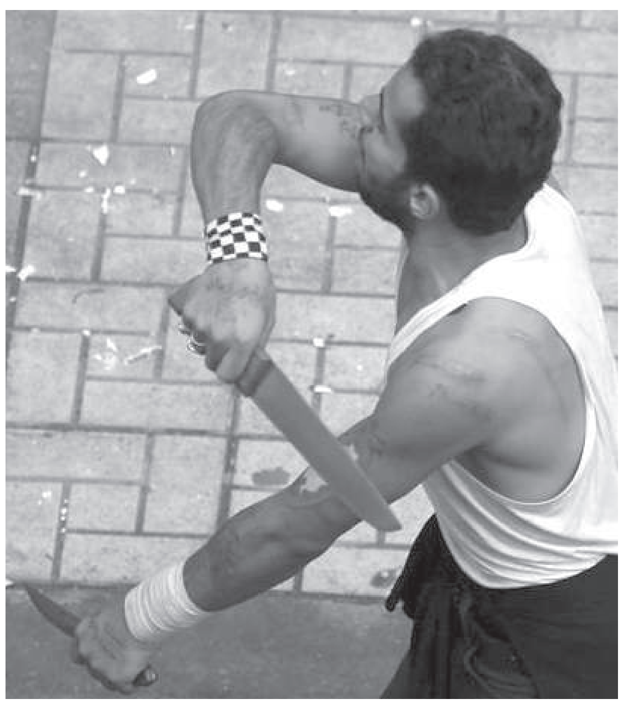
البلطجة والعنف .. داء يصيب المجتمع المصرى

«المشهد» تدق ناقوس الخطر .. وخبراء يطالبون بتغليظ العقوبات وخطط لمواجهة شاملة

تصاعدت ظاهرة البلطجة والعنف فى السنوات الأخيرة بصورة متكررة فى مناطق متفرقة وباستخدام أساليب مختلفة فى الاعتداء بشكل ملحوظ ومثير للقلق والرعب حتى طفح الكيل من تكرار تلك الحوادث المخيفة، وباتت مشاهد الاعتداءات اللفظية والجسدية وسرقة الممتلكات وترويع المواطنين جزءاً من الحياة اليومية فى بعض المناطق، خاصة بين فئة الشباب والمراهقين وهو ما ينذر بخطر يهدد الاستقرار والسلم الاجتماعى وأصبحت تلك المشاهد المروعة لا تقتصر فقط على الأحياء الفقيرة بل امتدت إلى مناطق متنوعة مما يجعلها مشكلة مجتمعية شاملة تنذر بكارثة مستقبلية.

وبالرغم من أنها ظاهرة قديمة جداً ومنتشرة منذ زمن بعيد إلا أنها تفاقمت بشكل كبير فى الفترة الحالية، خبراء الاقتصاد يرون لهذه الظاهرة جذوراً اقتصادية عميقة تؤثرعلى استقرار المجتمع وتماسكه، ويؤكدون أن بناء مجتمع أمن يتطلب تربية جيل يحترم الأخر ويلتزم بالقانون ويؤمن بأن الحوار والتسامح هما السبيل الحقيقى لحل الخلافات.


فرض اتاوات


بلطجة


فرض سيطرة

من أشهرهذه الوقائع المؤسفة، قيام مجموعة من الشباب باقتحام أحد المسجد أثناء الصلاة حاملين "أسلحة بيضاء وسنجا وشوما" مروعين المصلين دون مراعاة لحرمة بيوت الله، ما أثار موجة غضب واستياء شعبى.

من مظاهر البلطجة والعنف فى الشارع أيضا الاعتداء على المارة بالضرب أوالسلاح الأبيض وفرض الإتاوات على أصحاب المحال أو الباعة الجائلين أو المشاجرات الجماعية التى تعرض حياة المواطنين للخطر والتحرش اللفظى والجسدى بالنساء والفتيات وتخريب الممتلكات العامة والخاصة.

أيضاً ماحدث منذ أيام قليلة من مشاجرة بالأسلحة النارية بين طرفين فوق أحد الكبارى بشبرا الخيمة ، ما أثار غضبا وذعرا بين المواطنين على الطرق العامة.

هذا الحادث وغيره من الحوادث المتكررة يدفعنا للتساؤل: إلى أين نحن ذاهبون؟! فالأمر جلل ويجب دراسة هذه الحالات بعناية، ما الذى أوصلنا إلى هذا الحال؟ وكيف نعالج هذه الأزمة؟

"المشهد" تعرض أراء خبراء الاقتصاد والاجتماع والقانون وعلماء الدين عن أسباب تفاقم هذه الظاهرة ، ولماذا أصبحت البلطجة سلوكاً شبه معتاد فى شوارعنا ومدارسنا وأحيائنا الشعبية والراقية على حد سواء؟ ولماذا لم تعد هناك رهبة من القانون ولا احترام لدورالعبادة أو المؤسسات العامة والجهود البرلمانية للتصدى لمواجهة هذه الظاهرة تستدعى تضافر الجهود سواء من الأسرة أو المدرسة أوالدولة للحد من هذه الظاهرة الخطيرة.

أزمة اقتصادية واجتماعية

يرى معظم خبراء الاقتصاد أن ارتفاع معدلات البطالة خاصة بين الشباب وفقر شرائح واسعة بين المجتمع يشكلان أسبابا رئيسية فى تنامى ظاهرة العنف والبلطجة حيث يعانى الشباب فى الحصول على فرصة عمل مناسبة مايرفع مستويات الإحباط ويخلق شعوراً بعدم الانتماء مما يدفع البعض للجوء إلى السلوكيات العدوانية.

الدكتورعادل عامر رئيس المركز المصري للدراسات السياسية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية والخبير فى القانون الدولى

يرى أن أسباب العنف كثيرة جدًا، وأحد أسبابها جينية في الأسرة، والبلطجي ليس بلطجيا بالصدفة، لكنه يكون لديه جينات تدخل في تشكيل وجدانه ومن أسباب العنف في المجتمع أيضًا التفكك الأسري وسوء التربية وغرس فكرة الانتقام وضعف التعليم والوعى المجتمعى، غياب الوازع الديني، البطالة، الفقر، وصعوبة المعيشة والدراما في كثير من الأحيان تشكل وجدان البلطجي وتعطيه الشجاعة ليُقدم على مارآه أمامه في الأعمال الدرامية، وأيضاً تأثير الإعلام السلبى وانتشار مشاهد العنف فى الأفلام والمسلسلات والإحباط والشعور بالظلم الاجتماعى أو فقدان الأمل وتعاطى المخدرات والكحول، وأيضاً انتشار العنف مرتبط باقتصاد غير رسمى يتضمن أنشطة مثل فرض الإتاوات وتجارة المخدرات والمناطق التى تشهد بلطجة أوعنفا غالباً ما تشهد تراجعاً فى حركة الأسواق والسياحة، وينتج عن غياب الأمن شعور بالإحباط وفقدان الأمل، كذلك تنخفض الثقة بين المواطنين والدولة وهو له تأثير طويل الأجل على النمو الاقتصادى وله تأثير سلبى على مناخ الاستثمار.

والمواجهة الحقيقة لظاهرة البلطجة لا يجب أن تكون فقط أمنية أو تشريعية بل يجب أن تشمل منظومة متكاملة تبدأ من الأسرة والمدرسة مروراً بالإعلام والفن وحتى دور العبادة، ونحن بحاجة إلى حملة توعوية واسعة تعيد تعريف معنى الرجولة والشهامة والانتماء للمجتمع، وتواجه بثقافة الوعى تلك النماذج الزائفة التى روجت لها بعض الأفلام والمسلسلات، الدولة تحاول وضع حلول لمواجهة هذه المشكلة من خلال معالجة العشوائيات، كما يجب أن تكون هناك رقابة حقيقية على المحتوى الفنى والإعلامى ومحاسبة كل من يروج للعنف أو البلطجة تحت أى مسمى، وإذا لم نتحرك بشكل سريع فإن ظاهرة البلطجة ستتحول من سلوك فردى إلى ثقافة عامة وسيصبح العنف هو اللغة السائدة.

ويوضح عامرً أن البلطجة والعنف ظواهر مرتبطة بضعف البنية الاقتصادية وتدهور الخدمات العامة، فضعف الخدمات الأساسية مثل التعليم والصحة والإسكان وتدهور البيئة الاقتصادية، والفجوة الكبيرة بين الطبقات الاجتماعية تؤدى إلى الشعور بالظلم والإقصاء وهو ما يزيد من العنف كوسيلة تعبير عن الاحتقان وغياب المشاريع التنموية وفرص العمل للشباب يجعلهم أكثر عرضة للانخراط فى أعمال عنف أو جرائم. فالعنف قد يكون نتيجة مباشرة لضغوط اقتصادية غير محمودة، كما أن التضخم وارتفاع أسعار السلع الأساسية تسبب ضغطاً نفسياً واجتماعيا كبيراً على الأسر ذات الدخل المحدود مما يؤدى إلى تصاعد حالات العنف، والعنف والبلطجة فى الشارع يعكسان أزمة اقتصادية واجتماعية عميقة حيث تؤدى البطالة والفقر إلى زيادة معدلات الجريمة، والفجوة الكبيرة بين طبقات المجتمع تؤدى إلى الشعور بالإقصاء وعدم المساواة وهو ما يولد توترات اجتماعية تتجلى أحيانا فى العنف الفردى أو الجماعى.

ومن أهم طرق الوقاية من العنف والبلطجة دعم الأسر وتوعيتها بأساليب تربية إيجابية بدون عنف، وحملات إعلامية وطنية ترفض العنف وتروج لقيم الحوار والتسامح، وبرامج مدرسية لمواجهة البلطجة، وتفعيل القوانين وملاحقة مرتكبى العنف بجدية.

غياب الرقابة على الأعمال الفنية

فى سياق متصل يضيف الكاتب الموسوعى والمؤرخ والناقد السينمائى محمود قاسم، أن انتشار العنف والبلطجة يعود إلى أسباب متعددة بعضها اجتماعى وبعضها اقتصادى وبعضها الأخر ثقافى، ولعل الأخطر من كل ذلك هو التأثيرالسلبى لوسائل الإعلام وبعض الأعمال الفنية، التى تروج للبلطجة وتقدم البلطجى كبطل شعبى، وتبرر أفعاله تحت مسميات "الجدعنة أو صاحب الحق المسلوب"، وقد كان للمثل محمد رمضان وأمثاله ممن اشتهروا بأدوار البلطجة والعنف فى الدراما والسينما أثر بالغ فى تشكيل وعى الشباب بشكل خاطئ، مما دفع البعض لتقليد هذه الشخصيات واعتبارها نموذجا يحتذى.

يؤكد قاسم أن الفن له دور مهم جدا فى زيادة انتشار كل أعمال العنف والبلطجة وتنوع أشكال الجريمة، وذلك لأنه أصبح ظاهرة يتفاخر بها النجوم الجدد والكتاب الجدد أيضاً ويتنافسون بهذه الأعمال، وهذا ماوصل إلى قوته فى مسلسلات رمضان الماضى وذلك من استخدام الألفاظ السيئة، كما أن المسلسلات والأفلام التى يتم عرضها فى الفترة الحالية لها تأثير سلبي كبير على أخلاق الشباب وعلى لغتنا العربية والألفاظ أصبحت صعبة والمشاهدغير مناسبة.

وأوضح محمود قاسم أن قناة روتانا 2 التى تعرض أفلام القرن العشرين كلها أبطالها ثابتون ولسانهم واحد، ولكن الأن يتذرعون بأن هذه لغة الناس وتصرفاتهم، وأصبح الفن يعكس الأخلاق السيئة على المجتمع بدون وجود رقابة وأصبحت لغة الشارع هى لغة الميكروفون خاصة فى التليفزيون، ومن أشهرمن يقدمون أعمال البلطجة والعنف محمد رمضان وأحمد السقا، موضحاً أن السعودية لها دور أساسى فى إنتاج تلك الأفلام والمسلسلات، والمنتج يريد ذلك لأنه يزيد من الإقبال، أما وزارة الثقافة فليس لها دور، مع أن الرقابة لابد أن تمنع كل الأعمال التى تتعارض مع الأخلاق الحميدة ولكنها لا تؤدى دورها بل تترك المجتمع يواجه تلك الأعمال دون تدخلها، كما أن وسائل الإعلام ساهمت فى انتشار العنف والبلطجة عن طريق التركيز على مشاهد العنف والإثارة وهذا يشجع المحاكاة من بعض الشباب فى المجتمع.

ولذلك أصبح من الضرورى والملح أن تتحرك الدولة بكل مؤسساتها لوضع تشريعات جديدة وصارمة تجرم أفعال العنف والبلطجة وتغلظ العقوبات على مرتكبيها خصوصا فى الأماكن العامة ودور العبادة، ولا يجب أن تمر مثل هذه الجرائم مرور الكرام ويجب أن يشعر كل مواطن بالأمان داخل بيته وفى شارعه ومسجده ومدرسته.

التفكك الأسرى يزيد معدلات الجريمة

تؤكد الدكتورة عزة كريم أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، أن العنف والبلطجة لهما أسباب اجتماعية مثل الإحباط الناتج عن الفقر أوالبطالة أوالفشل فى تحقيق الطموحات، وأن ضعف المؤسسات الاجتماعية وغياب الرقابة الأسرية وافتقار الأطفال إلى المتابعة والتوجيه يزيد من احتمالية انحرافهم.

وتشدد على أن الفقر والبطالة يساهمان فى الشعور بالإحباط والعجز، ويزيد لجوء بعض الأفراد إلى العنف والبلطجة كوسيلة للسيطرة أوالكسب السريع، كذلك ضعف المؤسسات التربوية وتقصير المدارس فى غرس القيم الأخلاقية قد يؤدى إلى وجود جيل غير مدرك لخطورة العنف، كما أن عرض مشاهد العنف والبلطجة فى الأعمال الدرامية والأفلام قد يُطبع هذه السلوكيات فى أذهان الشباب، ويؤدي التراخى فى تطبيع العقوبات لتشجيع الجناة على تكرار أفعالهم دون خوف العواقب، وبعض القوانين لا تجرم سلوكيات معينة مرتبطة بالبلطجة بشكل مباشر مثل (فرض الإتاوات أو التهديدات غير المباشرة)، أيضا تفكك النسيج الاجتماعى حيث تسود مشاعر الخوف والكراهية بين أفراد المجتمع، والعنف يولد عنفا مضادا مايؤدي إلى دائرة لا تنتهى من الانفلات الأمنى، وغالبا يظهر العنف فى المجتمعات التى تعانى من تباينات اقتصادية واجتماعية كبيرة وهو سلوك مكتسب يتعلمه الفرد من الأسرة والمدرسة أو الإعلام عندما يرى أن العنف وسيلة فعالة لحل المشكلات.

ومن الأثار المترتبة على المجتمع جراء العنف انعدام الشعور بالأمان وعزوف المواطنين عن الخروج أو ممارسة حياتهم الطبيعية والإضرار بالاقتصاد وتراجع الاستثمارات والسياحة بسبب تفشى الجريمة، والحل لمواجهة هذه الظاهرة هو انتشار الشرطة وتعاون المواطنين مع الأمن وتوفير الدولة لمقومات الحياة الكريمة مثل الحد الأدنى للأجور والمأوى المناسبِ ومعاملة رجل الشرطة باحترام لكى يكون قادراً على القيام بواجبه.

البطالة والفقر والضغط النفسى

يرى الدكتور رجب عبد اللطيف استشاري تنمية بشرية وإرشاد أسرى وتربوى، أن البلطجة تُعد من الظواهر السلبية التي تنخر في جسد المجتمعات، وتؤدي إلى انهيار القيم، ومن أجل القضاء عليها، يجب فهم الأسباب بعمق، والعمل على حلول فعّالة وشاملة، ومن أهم أسباب انتشار البلطجة ضعف التربية الأسرية وغياب الرقابة ما يُولّد شعورًا بالإهمال لدى الأبناء، ويدفعهم لسلوك عدواني بحثًا عن إثبات الذات وأيضاً الفقر والبطالة فالظروف الاقتصادية الصعبة تدفع بعض الشباب للبحث عن النفوذ أو المال بطرق غير مشروعة، ما يعزز سلوك البلطجة، وضعف الوعي والتعليم يؤدي إلى تطبيع العنف، خصوصًا في غياب برامج تربوية فعالة، بالإضافة إلى تأثير الإعلام السلبي من المسلسلات والأفلام والألعاب التي تمجد القوة والعنف وتزرع في عقول الشباب صورة مشوهة عن "القوة"، وتشجع على تقليد البلطجية.

ومن أهم طرق علاج البلطجة هو تعزيز دور الأسرة ، حيث يمكن لها أن تكون الدرع الأول ضد سلوكيات العنف، وتحسين الظروف الاقتصادية بخلق فرص عمل، وتوفير بيئة معيشية كريمة ، ومن الحلول المقترحة لمواجهة هذه الظاهرة الخطيرة التى تنذر بكارثة مجتمعية وأخلاقية وتشديد العقوبات على مرتكبى العنف والبلطجة لضمان الردع، وتطبيق القانون بحزم وذلك بفرض العقوبات الصارمة، وتفعيل دور الشرطة المجتمعية يبعث برسالة واضحة أن الأمن فوق كل اعتبار، مشيراً إلى إن القضاء على ظاهرة البلطجة لا يكون بالعلاج المؤقت، بل يحتاج إلى خطة طويلة المدى تشمل الأسرة، والتعليم، والإعلام، والدولة، فالبيئة السليمة تخلق أفراداً أسوياء، قادرين على بناء مجتمع يسوده الأمان والسلام.

غياب الوازع الدينى

فى سياق متصل ترى الدكتورة آمنة نصير أستاذة العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الشريف، أن تصاعد العنف والبلطجة هو نتاج غياب الوازع الدينى وابتعاد الناس عن الأخلاق وانعدام القيم والتدين الشكلى الذى يظهر فى السلوك فقط والمجتمع الذى يتساهل فى مواجهة هذه السلوكيات سيدفع الثمن من استقراره وسلامه الاجتماعى، وتؤكد أن البلطجى ليس شجاعاً بل ظالم وجبان والشريعة لا تبرر العنف خارج إطار القانون والدفاع المشروع وأن الإسلام يرفض بشدة التعدى على الأخرين سواء كان بدنياً أو نفسياً أوترويع الناس أوفرض السيطرة بالقوة وإلحاق الأذى بالمجتمع ونشر الفوضى والترويج للعنف كقيمة مقبولة، مطالبة بأن يكون هناك تعاون بين الدولة ورجال الدين والإعلام فى إعادة بناء المنظومة القيمية وأن مانراه من مشاهد البلطجة أوالتعدى اللفظى والجسدى فى الشوارع هو تعد صارخ على مقاصد الشريعة التى تحفظ النفس والعرض والمال مشيراً إلى قول النبى "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً" حتى ولو على سبيل المزاح.

وقالت آمنه نصير أن تكرار مثل هذه الظواهر يعكس انهياراً فى القيم الدينية والأخلاقية، فالبلطجة والعنف صورة من صور الفساد فى الأرض التى حذر منها القرآن الكريم، فالإسلام دين الرحمة والعدل وقد شدد على تحريم الأذى والاعتداء على الأخرين سواء بالقول أو بالفعل، والبلطجى الذى يرهب الناس أو يعتدى على ممتلكاتهم هو من المفسدين فى الأرض الذين توعدهم الله بالعقاب الشديد

وأشارت إلى قول النبى صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) وهذا الحديث يقطع الطريق على مبررات العنف أو القوة غير المشروعة.

ومن الحلول الدينية المقترحة لمواجهة هذه الظاهرة تكثيف الخطاب الدينى فى المساجد والإعلام حول حرمة العنف وتدريس مبادئ احترام الأخر واللاعنف فى مناهج التربية الدينية وفتح حوار مع الشباب حول القيم الدينية الحقيقية وتقديم قدوات دينية إيجابية فى الأعمال الفنية والإعلامية وضرورة التصدى لها عبر المنابر والمساجد والتعليم والإعلام إلى جانب التشريع والقانون، وإعادة بناء منظومة القيم والأخلاق ونشر الوعى الدينى الحقيقى وعودة المراكز البحثية لدراسة الظواهر السلبية مع احترام قيمة الإنسان وتفعيل القانون بسرعة وعدل، وإجراء إصلاحات اجتماعية كبيرة تعيد للمجتمع ملامحه الأساسية وتواجه الظواهر السلبية بقوة وحسم مع ضرورة احترام قيمة الإنسان.

التكاتف المجتمعى

ويضيف الدكتور أحمد كريمة أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر الشريف، أن العنف والبلطجة تعد أحداثا فردية وليست بظاهرة، لأن الله وصف هذا الشعب قال تعالى: (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) لم يقتل على أرضه نبى ولم يعن عليه وال، وأل البيت استوطنوه والعلماء.

ومن أسبآب انتشار العنف والبلطجة ضعف الوازع الدينى وسوء التربية والتفكك الأسرى والفقر والبطالة وانتشار المخدرات وغياب القدوة الحسنة فى المجتمع والسوشيال ميديا لها دور فى الترويج لمثل هذه الأحداث، ومن أسباب تزايد أعمال العنف والبلطجة، غياب الدوريات الأمنية فى الشارع وفى القرى وهذه كلها عوامل مترابطة كانت من أهم الأسباب التى شجعت الناس على انتشار كل أشكال البلطجة والعنف باختلاف مسمياتها.

تحركات برلمانية

وتقدم عدد من النواب بطلبات إحاطة عاجلة إلى الحكومة عقب إحدى الجرائم البشعة مطالبين بتشديد الرقابة الأمنية وتغليظ العقوبات على مرتكبى جرائم العنف والبلطجة وتفعيل دورالإعلام فى مواجهة هذه الظاهرة السلبية.

وأعربت النائبة مى رشدى عضو مجلس النواب، عن استيائها من بعض مشاهد الدراما الرمضانية التى اعتبرتها غير مناسبة وتؤثرعلى القيم المجتمعية، وأبدت اعتراضها على مضمون بعض المسلسلات التى عرضت خلال شهر رمضان، حيث تحتوى على مشاهد عنف مفرطة وألفاظ خارجة وسلوكيات لا تعكس القيم والتقاليد المصرية، وطالبت بحظر مشاهد العنف والتدخين والعُرى فى الأعمال الدرامية الرمضانية، لأنها تؤثر سلباً على الأطفال والشباب وتسهم فى تطبيع العنف والانحراف السلوكى داخل المجتمع، وتنشر ثقافة العنف والبلطجة بين الشباب والمراهقين.

وطالبت النائبة برقابة أكثر صرامة على المحتوى المعروض والحرص على أن تقدم محتوى هادفاً يرتقى بالذوق العام ويعزز من القيم الإيجابية، وضرورة وتوفير دعم قانونى ونفسى فعال للضحايا مع إنشاء منصات أمنة للإبلاغ، وإعادة تقييم أليات مواجهة الجريمة والعنف المجتمعى.

وعن الحلول المقترحة لمواجهة هذه الظاهرة تؤكد ضرورة زيادة الاستثمار فى تعليم الشباب وتدريبهم مهنيا لمساعدتهم على الدخول فى سوق العمل بطرق مشروعة وأن تركز السياسات الحكومية على توفير فرص عمل مستدامة وتحسين مستوى معيشة الطبقات الفقيرة والمتوسطة وتخفيف أثار الأزمات الاقتصادية وتحسين الخدمات العامة لتحسين جودة الحياة

حلول مقترحة

ويرى معظم الخبراء أن ظاهرة العنف والبلطجة ليست مجرد قضايا أمنية أو اجتماعية فقط ، بل هى انعكاس لواقع اقتصادى معقد يتطلب تدخلا شاملا، ويشدد الخبراء على أن غياب نظام توزيع عادل للثروات يزيد من حالة الاحتقان الجماعى ويعزز ظواهر العنف كنوع من الاحتجاج ومن المقترحات الاقتصادية توفير فرص عمل للشباب عبر برامج تدريب وتأهيل مهنى وتعزيز شبكات الأمان الاجتماعى لدعم الفئات الأشد ضعفاً والاستثمار فى التعليم والصحة والبنية التحتية لتحسين جودة الحياة وتشجيع ريادة الأعمال والمشروعات الصغيرة والمتوسطة كسبيل لتمكين الشباب اقتصادياً.


عزة كريم: التفكك الأسرى وغياب التربية السليمة .. أهم الأسباب وهناك ضرورة لإعلام هادف يروج للقيم


عادل عامر: تطبيق قوانين رادعة وتحسين الظروف الاقتصادية وحملات إعلامية تروج لقيم التسامح


محمود قاسم: تقديم نماذج إيجابية ووقف تمجيد الشخصيات الخارجة عن القانون


رجب عبداللطيف: تربية الأبناء على الأخلاق والقدوة الحسنة فالإهمال التربوى يخلق فراغاً يملأ بالعنف


آمنة نصير: تعزيز الوازع الدينى والعودة إلى تعاليم الإسلام وتنشيط دور المساجد


أحمد كريمة: تفعيل دور الدروس والخطب لمواجهة العنف وتعزيز التسامح والاحترام


مى رشدى: غياب الرسائل الأخلاقية الهادفة فى بعض الأعمال الفنية وتقديم البلطجية كأبطال ينشر الظاهرة

تحقيق: حنان موسى

المشهد
العدد 340 – السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 15 يوليو 2025 م الموافق 20 محرم 1447 هـ

قالت العرب

"تُنسى كأنك لم تكن / تنسى كمصرع طائر / ككنيسة مهجورة تنسى / كحب عابر / وكوردة في الريح / وكوردة في الثلج / تنسى

حين أنهيت خدمتي العسكرية لم أعد إلى قريتي حتى لا يأكلني الزمن

عمار علي حسن لـ «المشهد»: أنا فلاح فأسه القلم

في حياتي تجاور العلم والفن، ثم تعانقا بمرور الأيام



تكريم اتحاد الكتاب العرب



جائزة ساويرس

بعد صدور ثلاثيته الروائية المعنونة بـ «ملحمة المطاريد» يستعد الأديب والمفكر عمار على حسن لإصدار طبعة جديدة من سيرته الذاتية «مكان وسط الزحام.. تجربة ذاتية فى عبور الصعاب». حول هذه السيرة وأعماله التى تربو على ستين كتابًا فى مختلف ألوان الإبداع الأدبى والنقد الثقافى والتصوف والاجتماع السياسي، كان لـ «المشهد» معه هذا الحوار:

● ما الذى جعلك تقدم على كتابة سيرتك الذاتية؟

– لم يغن ما كتبته من الروايات والقصص عن التفكير فى كتابة سيرتي، ليس فقط لأشرح مكنونات نفسى دون تحرج أو تأثم، ولا لحنين جارف إلى أيام ولت ولن تعود، ولا لمقاومة كل عوامل اليأس والقنوط والإحباط والتطير، إنما أيضًا لتعيين مكانى الذى بلغته وسط زحام الناس، وعلى درب الحياة الشاق الطويل، وكذلك تخفيف العبء عن نفسى بنقل تجربتى إلى الآخرين، ربما يجدوا فيها ما يفيد، وما يمتع فى آن.

● لماذا أسميت سيرتك الذاتية «مكان وسط الزحام»؟

– أعتقد أن هذا العنوان معبر كثيرًا عما كنت أقصده وقت أن أتيت إلى القاهرة عام ١٩٨٥، للالتحاق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، حيث كنت أخاطب نفسي: لابد أن يكون لك مكان وسط الزحام، وعليك أن تجاهد كى تترك علامة، قبل أن تمضي. وأتذكر أننى حين أنهيت خدمتى العسكرية لم أعد إلى قريتى حتى لا يأكلنى الزمن، إنما نزلت إلى القاهرة، وقلت لها: ها أنا قد عدت، ولن أضيع فيك.

● وضعت على غلاف سيرتك عنوانا فرعيًا هو «تجربة ذاتية فى عبور الصعاب»، فهل كتابتها واستدعاء مواقف صعبة من طفولتك كان صعبا عليك؟

– على النقيض من هذا تمامًا، إنها سالف بهجتي، رغم ما فيها من شقاء، وهى التى أمدتنى بمخزون وفير لا أزال أنهل منه فى أعمالى القصصية والروائية، وحتى فى الاستبصار والتأمل الذى يجب أن يتسم به من يؤلف كتبًا فى الاجتماع السياسي، فلها فضل عليَّ، فأنا أكتب عما أعرفه وعمن أعرفهم.

نعم قدمت هنا تجربة فى الانتصار على الشدائد، بطلها كاتبها، الذى كان طفلا شبه متوحد، متعثرًا دراسيًا فى سنوات التعليم الأولى، ثم لم يلبث أن تفوق ليشق طريقه فى التعليم إلى نهايته، ويكون بوسعه أن يحكى لغيره عن أساتذة وقفوا أمامه، وآخرين قرأ لهم، وعن بسطاء الناس الذين تعلم منهم، وكيف واجه الفقر واليأس والغربة والوقوف على مشارف الموت مرات، وكذلك تجاربه فى الأدب والفلاحة والمعمار والصحافة والبحث العلمى والحب والجندية والدراسة والصداقة والزمالة، والكفاح من أجل الحرية والإبداع، والترقى فى العيش.

السنوات الأولى

● لم تبدأ سيرتك الذاتية من المولد والنشأة إنما من المدرسة فهل سبب ذلك التزامك بقواعد علم نفس النمو التى تنبئنا بأن كل ما جرى لنا فى السنوات الخمس الأولى يمحى؟ أم سبب ذلك إيمانك بأن العلم هو الذى صنعك وصاغ وجدانك؟

. فى حياتى تجاور العلم والفن، ثم تعانقا بمرور الأيام، وقد حرصت على أن تجلى سيرتى هذه المسألة. ولم أبدأ هذه السيرة بالمولد والنشأة، حتى لا أعتمد بالكلية فى هذا على ما أسمعه من غيري، وكى لا تأتى تقليدية مثل كثير من السير، بل توسلت فيها بما أمتلكه كأديب، وكتبتها فى صيغة سردية تصف واقعى بلا خيال ولا افتعال. ولأنى أدرك أن حياتى الحقيقية بدأت مع المدرسة فقد انطلقت منها، ومع هذا استرجعت ما قبلها مما بقى فى ذاكرتى مما حكاه لى أهلى عن طفولتى المبكرة جدًا.

● أتت سيرتك أشبه برواية تعلمنا الدأب والكدح والصبر فهل كنت تقصد هذا؟

– أنا لم أقصد سوى كتابة تجربتى كما وقعت، ولأننى صبرت وجالدت، ولا أزال، فقد ظهر الأمر على هذا النحو.

● تبين سيرتك الكثير من الوقائع التى ساندك القدر فيها فهل تؤمن بقانون الصدفة؟

– لا، أنا أؤمن بـ "اعقلها وتوكل" فآخذ بالأسباب على قدر استطاعتي، وفى إيمانى بأن طاقة الإنسان على الإبداع واسعة وعميقة، ثم يملؤنى شعور بأن الله لن يردنى خائبًا. ومع هذا لا أزال أنظر فى اعتبار إلى قول الفيلسوف الألمانى شوبنهور: "الآن بلغت الثمانين من عمري، وحين أنظر خلفى أدرك أن كل نقاط التحول فى حياتى لم تكن من صنع يدي". فبعض هذا حدث لى فعلا، وهناك محطات جاهدت كى أصنعها.

الشغف بالمعرفة

● فى نهاية أول يوم دراسى لك اندلعت الحرب وكأن الدراسة كانت حربك الوحيدة أو الأصعب، هل هى محض مصادفة؟

. نعم، هى كذلك، فأنا من جيل كان يؤمن بأن التعليم أحد الأسباب القوية للحراك الاجتماعى والترقى فى العيش، وقد أخلصت له كمسار، فضلا عن شغفى بالمعرفة والأدب، فلم يخذلني، ولولا الدراسة والكتابة لكنت قد صرت الآن فلاحًا أجيرًا، أو عامل تراحيل، وهو ما شرحته بوضوح فى سيرتى الذاتية.

● يلعب المكان فى سيرتك «مكان وسط الزحام» دورًا ملموسًا، فإلى أى حد ترتبط بالأمكنة؟

– ارتباطى بالأماكن لا حدود له، وهذا طالما تسكبه نفسى ويخطه وجدانى على الورق، فيظهر فى أعمالى السردية، وقد بلغ مدى لافتًا حتى أن باحثة بجامعة الإسكندرية ناقشت أطروحة للدكتوراه عن المكان فى رواياتي، ضمن تصورها عن الأدب والجغرافيا الثقافية.

تداعى المعاني

● بدا أنك تعمدت كتابة سيرتك بروح الرواية على غير السائد فى السير الذاتية التى كتبها كتاب أخرون، أليس كذلك؟

– هى أخذت من فن الرواية الطريقة أو الأسلوب، وأحيانًا البنية، وأخذت من السيرة ما يجب أن تنطوى عليه من صدق ووصف للواقع وشرح للتجربة الذاتية كما جرت. ولا أزعم أننى قد وضعت تصورًا فى رأسى ابتداء لمثل هذا النوع من الكتابة، لكنها خرجت على هذا النحو، ومن يقرأها بإمعان فقد يكتشف أنها اعتمدت على الاستطراد أو تداعى المعاني، وبالتالى لم تخضع للطرق التقليدية فى كتابة السير.

●.حرصت على كتابة سيرتك باللغة الفصحى وليست الدارجة أو العامية، كيف ترصد علاقتك باللغة، خاصة أنك استخدمت العامية أحيانًا فى أول مجموعة قصصية لك وهى "عرب العطيات"؟

– كل عمل يختار لغته، ففى روايتى "شجرة العابد" مثلا كان يجب أن تكون اللغة صوفية، لتواكب أجواء الرواية وتعبر عن شخصياتها، بينما ذهبت هذه الروح الصوفية فى روايتى "باب رزق" التى تدور فى حى عشوائى بالقاهرة. وهناك قصص عن عوالم الريف تجرى على ألسنة بسطاء، مثلما كان فى "عرب العطيات"، لكننى فى المجمل أميل إلى الفصحى، وأحاول أن أحل معضلة التعبير على ألسنة شخصيات بسيطة باللجوء إلى ما تسمى الفصحى الدارجة أو اللغة الثالثة مثلما كان يقول توفيق الحكيم ويفعل، وكذلك نجيب محفوظ. لكن أحيانًا لا أجد بديلا عن عامية تفرض نفسها فى بعض المواقف والمواضع. كما أننى لجأت فى بعض رواياتى إلى تضمين أمثال ومواويل وتعبيرات من الثقافة الشعبية لا يمكن أن تكتب إلا باللهجة الشفاهية التى نُطقت بها.

الاجتماع السياسي

● تظهر هذه السيرة أن قضية الفقر تشغلك، أليس كذلك؟

– طبعا، الفقر بشتى ألوانه يشغلني، المادى والروحى والأخلاقى والمعرفى والخاص بتذوق الجمال، إن هذا يجب أن يكون شاغلنا الشاغل، كى نسهم فى تحسين شروط الحياة.

● بعد منجزك فى كتابة الرواية والقصة والشعر والمسرح وعلم الاجتماع السياسى والتصوف والنقد الثقافي، أتكتب بهذه الصراحة عن فقرك، بينما نجد هناك من ينكر فقره فى أيامه الأولى؟

– هذه مسألة يجب أن يعتز بها كل من عاشها، وتمكن من أن يعبرها باجتهاد وكفاح شريف. ومن عليه أن يخجل هو من وجد أن كل شيء معد له، ولم يضف جديدًا إلى الحياة. الفقر ليس عيبا فى حد ذاته، إنما العيب فى إنكاره، أو تركه يؤثر سلبيًا على نفس الإنسان، حتى حين يصبح من مساتير الناس أو أغنيائهم.

● فى سيرتك توضح أن كل كتبك ما عدا واحدًا منها كانت إجابات عن أسئلة تثار فى رأسك، إلى أى حد تلتزم بهذا؟

– هذه المقولة تخص كتاباتى فى الاجتماع السياسى بالطبع، وليست رواياتى وقصصي، وهذا أمر طبيعي، فالبحث العلمى هو محاولة ممنهجة او مضبوطة علميًا للإجابة على تساؤلات أو إثبات افتراضات أو نفيها.

بؤس الأيديولوجيا

● تقول أنك صرت بالنسبة للكثيرين عصيًا على التصنيف الأيديولوجى وقد انتهيت لما تسميه منظومة قيم إنسانية متماسكة كإطار أو مرجعية، حدثنا عن هذا الأمر؟

– حسمت هذه المسألة منذ وقت مبكر، بعد أن أدركت البؤس الذى يكمن فى الأيديولوجيات، وإن كنت من المقتنعين بأن الحياة لا تستقيم بلا إطار أو مرجعية أو نقطة مركزية ينطلق منها الإنسان فى رؤيته للأمور، ولهذا كتبت كتيبًا أدعو فيه إلى أن يكون لكل منا منظومة قيم، وبالنسبة لمنظومتي، التى رسمت ملامحها على الورق، تتعانق فيها الحرية مع العدالة والمساواة، كقيم سياسية، ولا تتناحر كما يجرى فى الأيديولوجيات الجامدة.

● ماذا يمثل لك كتاب «مكان وسط الزحام»، وما الذى شجعك على تأليفه؟

– أعتبره من أهم كتبى ، فالكتاب يحكى سيرتى الذاتية من مولدى حتى لحظة كتابته، وحاولت فيه أن أتحلى بقدر من شجاعة الاعتراف، بدليل أننى لم أخف فيه أشياء يخفيها آخرون بعد وصولهم للتحقق أو الشهرة، فأنا أوضحت فيه معاناتى مع الفقر واليأس والغربة، وقدرتى على مواجهة الصعاب والتحديات حتى استطعت أن أحقق أحلامى، وابتعدت فيه عن الجانب السياسى وركزت على الجانب الاجتماعى، وقد تشجعت على كتابته بعد أن شجعنى كثيرون على ذلك، بعد أن استمعوا لى فى برنامج تليفزيونى، وأنا أتحدث بلا خجل عن عملى فى الفلاحة والمعمار فى أيام الصبا، وعن ركوبى قطار الدرجة الثالثة ووقوفى فيه على قدم واحدة وسط الزحام وأنا أسافر من المنيا إلى القاهرة لتقديم أوراقى إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بعد تفوقى فى الثانوية العامة، وعن الصعوبات التى واجهتنى بعد تخرجى حتى حصلت على فرصة عمل وسط زحام القاهرة.



خبيئة العارف

صبر الفلاح

● هل «مكان وسط الزحام» يحوى كل سيرتك الذاتية، أم أنها تجلت فى أعمال أخرى لك؟

– كتبت تجربتى السياسية فى كتاب حمل عنوان «عشت ما جرى»، وهناك من النقاد من يعتبر أن جوانب من سيرتى ظهرت فى عملين لى هما «عجائز البلدة» الذى قدمت فيه خمسة وستين حكايةً عن الأدوات والآلات البسيطة التى رأيتها طفلا فى منازلنا وحقولنا، وجرفتها الحداثة، وحين حكيت عنها ظهرت علاقتى بها، فبدت وكأنها جزء من سيرتي. وهناك كتابى فى أدب الرحلات «ألف نافذة لغرفة واحدة.. رحلة من الطبيعة إلى الطبائع»، وفيه تجربتى فى الرحلة.

● الطفل الذى كان يعانى من أعراض التوحد، كيف وصلت مؤلفاته إلى ما يربو على ستين كتابًا؟ وما سر هذا الإنتاج الغزير وأنت الذى حرمت من أول حروف فى التهجي؟

. أحاول أن أعمل بصبر فلاح، فأنا فلاح يكتب بالقلم بعد أن كان يضرب بالفأس، وأحاول أن أعمل أيضًا بإخلاصٍ ناسك، وهمة رجل جاء من الجنوب المنسي، بحثًا عن مكان وسط الزحام فى القاهرة التى أخذت النصيب الوافر من كل شيء. وقد أدركت مبكرا أن الكتابة تحتاج إلى تفرغ، فأعطيتها ما طلبت، وأحلت نفسى إلى تقاعد مبكر، وعمرى لم يكن قد تجاوز الثالثة والأربعين سنة، وأوجه طاقتى إلى القراءة والكتابة، لأنها همى وانشغالى ومكمن دورى الأساسى فى الحياة، ولهذا توالت أعمالى على النحو الذى تراه، فكل يوم يمر عليَّ دون أن أقرأ فيه جديدا، وأكتب مختلفا، أشعر أنه قد ذهب سدى.

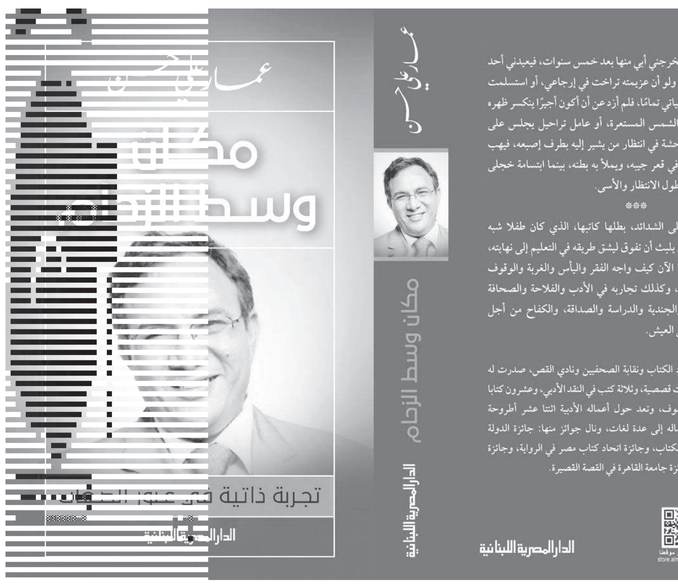
المثقف العضوي

● بالنظر إلى مؤلفاتك نجد منها ثلاثين كتابًا فى مختلف ألوان الإبداع الأدبى وثلاثين كتابًا فى الإجتماع السياسى والنقد الثقافى والتصوف ما هو الوجه الأقرب إلى نفسك؟

– الإبداع الأدبى هو الأقرب إلى نفسي، وقد كتبت فيه رواية وقصة قصيرة وقصية قصيرةٍ جدا ومسرحية وشعرا ونقدا، وكان الأدب سابقًا على البحث فيما كتبت وما نشرته، وأحاول حتى فى دراساتى المرتبطة بعلم الاجتماع السياسى أن أبحث عن المناطق غير المألوفة وغير المأهولة أو المجهولة، والتى تحتاج هى الأخرى إلى إبداع، وإن مارست السياسة فى الحياة فمن منبر "المثقف العضوي" حسب تعبير جرامشي، وهى ممارسة تفيدنى أيضًا ككاتب وباحث، يؤمن بأن النظريات تولد من رحم الميدان الاجتماعي، وأن المعرفة لا تهديها لنا الكتب فحسب، إنما ما نسمعه من الناس، وما نتأمله من طرائق عيشهم، لاسيما فى بلد عريق مثل مصر.

● إلى جانب حضور السياق الاجتماعى نلاحظ حضورًا للفلسفة فى كتاباتك فما العلاقة بين الأدب والفلسفة، ومن هم أكثر الذين حملت أعمالهم رؤى فلسفية؟

– نعم توجد علاقة وطيدة بين الأدب والفلسفة، وهناك تأثير متبادل بين الفلسفة والأدب بكل ألوانه من رواية وقصة وشعر ومسرح، وقد ألقيت محاضرة كاملة عن هذا الموضوع فى جامعة المنوفية فى ندوة عقدها قسم الفلسفة بكلية الأداب بالجامعة، وكان الدكتور صلاح عثمان رئيس قسم الفلسفة بالكلية مشرفًا وحاضرًا ومشاركا فى هذه الندوة، وأبرزت فى محاضرتى الجوانب الجمالية والتقدمية فى الفكر الفلسفى وتطبيقاته فى الواقع المجتمع. والعلاقة بين الأدب والفلسفة قضية شغلتنى كثيرًا فى الفترة الأخيرة، من منظور أشمل وأعم، وهو علاقة الأدب بمختلف العلوم الإنسانية والتطبيقية. هناك أدباء حملت أعمالهم رؤى فلسفية مثل نجيب محفوظ، وهناك فلاسفة طرحوا أفكارهم بطريقة أدبية مثلٍ أرسطو ونيتشه، وهناك فلاسفة كتبوا أدبًا لافتا وخالصًا، مثل سارتر.



سيرة عمار

أثر التصوف

● يتجلى الجانب الفلسفى أكثر فى بعض أعمالك الروائية والقصصية فى حضور التصوف، فما الذى يمثله لك كأديب ومفكر سياسى؟

– التصوف مهم فى الحياة وليس فى الأدب فقط، وكل النقاد والأدباء لمسوا تأثرى الشديد بالتصوف فى رواياتى، خاصة "شجرة العابد"، و"جدران المدى"، و"حكاية شمردل"، و"سقوط الصمت". نحن الآن فى أمس الحاجة للتصوف، بعد أن بلغ الظمأ الروحى أشده، ووصل التردى الأخلاقى مداه، فالتصوف يعزف على وتر إنسانى مشترك، وهو المشاعر، وهذا يجعل الناس يتشابهون ويتطابقون فى حسهم الإنسانى ويجعلهم يتمسكون بهذا الرباط التسامحى المتين، والتصوف أفادنى فى إبداعاتى الأدبية، لأنه يمتلك ميراثا لغويًا عميقا وجزلا، يتجاوز الزمان والمكان، ويتذوقه المختلفون معه فى الثقافات والأديان.

● ماهى رؤيتك للخيال فى الأدب وللشخصيات المتخيلة فى السرد الروائي، خاصة وأن لك روايات بها شخصيات متخيلة؟

– رؤيتى أن الأديب هو ابن الخيال، ولكنه لابد وأن يكون خيالا له صلة بالواقع، حتى تكون شخصيات الرواية مشوقة ومؤثرة ومعبرة عن الواقع المعاش وعاكسة لأحلام وآلآم وهموم الناس، فالأديب عندما يتخيل شخصية أو ينتج شخصية متخيلة، فلا يمكن أن يكون ذلك منفصلا عن ثقافته وأحلامه وأشواقه وإدراكاته، ورغبته فى الانطلاق من الواقع إلى آفاق أوسع، والخيال يكون مناسبًا بشكل أكبر فى النص السردى كالقصة والرواية؛ مقارنة بالنص الشعر الذى يعتمد على التصوير والتجسيد.

النقد الأدبي

● لماذا تهتم بالنقد الأدبى والتأليف فيه، حيث أنك ألفت أربعة كتب على الأقل فى النقد الأدبى والثقافي؟

– لأنه مجال مهم جدًا للأديب والكاتب، وأفعل ذلك أحيانا بدافع الحب لهذا المجال، وأحيانا أفعله بناء على طلب صحف ودوريات أدبية وندوات تطلب منى رؤى نقدية لبعض الروايات والقصص. وفى كتابى "بهجة الحكايا: على خطى نجيب محفوظ"، وضعت بعض تصوراتى عن أدب هذا الأديب العالمى. ولى أيضا مقالات نقدية عن بعض الأعمال الروائية والقصصية التى ظهرت فى العقد الأول من القرن الحادى والعشرين، واتبعت فيها منهجًا يمزج بين قراءة النص من داخله دلاليًا، ومن خارجه عبر رصد وتحليل تأثير السياق الاجتماعى عليه.

● إلى أى حد يتفاعل السياسى والروائى والصحفى بداخلك؟

– فى أطروحتى للدكتوراه التى كان عنوانها "القيم السياسية فى الرواية العربية"، أيقنتُ أن الروائى إن كان فنانا بالطبع فهو أيضًا عالم اجتماع صاحب بصيرة، لا يطرح تصوره وفق مسار برهنة واستدلالات منهجية لكن من خلال سرد يخضع لأحوال الفن وشروطه. فى الوقت نفسه فالسياسة بمفهومها الواسع لا يمكن تفاديها، حتى لو كنا نكتب نصًا جوانيًا أو جسديا صرفا أو متعلقًا بمسألة هامشية وصغيرة وضيقة أو حتى نفسية بحتة. ولهذا كان نجيب مخحفوظ يقول دومًا: "لايوجد حدث فني، إنما هو حدث سياسى أو اجتماعى نعالجه بطريقة فنية". وكانت تونى موريسون الأديبة الأمريكية الحاصلة على نوبل أيضًا تقول: "السياسة تلاحق الأدب أينما ذهب ولا فكاك منها". وهذا الرأى يأخذ بالطبع فى اعتباره أن الأدب لا يجب أن يتحول إلى بيان أو منشور أو أيديولوجية أو وعظ، وهى مسألة تحظى لديَّ، كما غيرى من الروائيين، بأهمية قصوى، لكن دراسة المجتمع والأحوال السياسية أو معرفتها أو الإحاطة بها أو التفاعل معها، قد يمنحنا الإطار أو السياق الذى تدور فيه سردياتنا الأدبية، ويمكن أن يمدنا أيضًا بالحكايات والحيل والتقنيات والمواقف. ومع كل هذا كان للصحافة فضل على فى جعلى أكتب ما يفهمه الناس، مهما كان عمق وتجريد القضايا التى أتناولها، أو صعوبة الأجواء وتعقيد الشخصيات التى أرسم ملامحها فى أعمال الروائية والقصصية.

من أجل الحرية

● تقول فى سيرتك أنك قد قرآت آلاف الكتب، وترى أن من قرأ كل هذه الكتب لا يهان؟ فهل ترى أن قراءة الكتب ترفع من قيمة الشخص؟

– يجب أن يكون الأمر على هذا النحو، فالثقافة التى لا تمنح صاحبها الامتلاء بالكرامة، والرغبة الجارفة فى الكفاح من أجل الحرية، والشعور بأحوال الناس وأشواقهم، والتصرف بما يليق، لا فائدة منها.

● كيف ترى حال المثقف الآن، لاسيما أن كثيرين يشعرون بعدم جدوى ما يقدمونه سواء لأنفسهم وأهلهم أو للمجتمع بشكل عام؟

– المثقفون محاصرون فى العالم العربي، وما يتاح لهم من حرية لا يكفى كاتبا واحدا، مثلما قال يوسف إدريس ذات مرة. والكتابة ليس بوسعها أن تقدم لأصحابها الحياة المادية الكريمة التى تليق بهم، لذا بعضهم يضطر إلى امتهان مهن أخرى ليقتات منها، وبعضهم يتحول إلى بوق للسلطة حتى تمن عليه ببعض ما لديها من أموال ومناصب، وهناك مِن تطحنه صروف الحياة فيهجر الكتابة قانطا. لكن ما يضنى المثقف العصامي، المستكفى بالكتابة، والمستغنى عما بيد السلطان، هو ألا يجد لكلمته صدى فى المجتمع الذى يحلم له بحياة أفضل، أو ألا يقدر الناس قيمة الكلمة، ويعتبرونها عملا لا جدوى منه.

حوار: حسين عبد الرحيم

قالت العرب

"هذا البحر لي / هذا الهواء الرطب لي
واسمي وان أخطأت لفظ اسمي على التابوت - لي ..
أما أنا - وقد امتلأت بكل أسباب الرحيل / فلست لي .
أنا لست لي"

العدد 340 - السنة الرابعة عشرة - الثلاثاء 15 يوليو 2025 م الموافق 20 محرم 1447 هـ

شغف أمريكي بالشعر الجاهلي:

كلارسا بيرت تفضح عنصرية الغرب تجاه العربية (1 من 2)

«المشهد» ترصد حكاية مستشرقة أمريكية اصطدمت بجدار الأكاديمية الغربية فاختارت أن تتعلم العربية فى مقاهى القاهرة ومعلقات الجاهلية

القصيدة الجاهلية تنبع من ثقافة بدوية أصيلة، وتملك قدرة مدهشة على بناء عالم متكامل فى ذهن القارئ

«حين جئت إلى مصر، اكتشفت أن للشعر مكانة تضاهى نجومية مايكل جاكسون فى جيلي!» بهذه العبارة الطريفة والصادمة فى آن، تختصر الأكاديمية والمترجمة الأمريكية كلاريسا بيرت دهشتها الأولى من الثقافة العربية، حين وصلت إلى القاهرة فى الثمانينيات بمنحة لدراسة الشعر الجاهلي. لم تكن الزيارة مجرد تجربة أكاديمية، بل بداية رحلة فكرية طويلة فى قلب اللغة العربية وآدابها، رحلة تجاوزت قاعات الدرس إلى مقاهى القاهرة ودوائر الشعراء، من أمل دنقل إلى شعراء الصعاليك، ومن حرب البسوس إلى قصيدة النثر.



فصل اللغة العربية عن اللغات السامية فى الجامعات الأمريكية مبنى على تصورات عنصرية مترسخة فى الذهن الغربي

تخصصت فى دراسة الشعر الجاهلى تحت إشراف المستشرق الأمريكى الشهير ياروسلاف ستيتكيفيتش

الشعر أعظم ظاهرة لغوية، وأراه أعمق من النثر فى التعبير عن المشاعر، يذهب إلى الجوهر وإلى ما لا يُقال بسهولة

أكثر ما جذبنى فى الشعر الجاهلى عالمه السحرى الذى يشبه روايات الخيال العلمي

بيرت أستاذة الأدب العربى فى الأكاديمية البحرية الأمريكية، تحمل خلفية فريدة تجمع بين الدراسات السامية والشعر، بين الأكاديمية الغربية والتراث العربى الشعبي. وهى صاحبة أطروحة دكتوراه مهمة عن «ظاهرة التوازى فى الشعر الجاهلي»، ومترجمة بارزة لشعراء عرب معاصرين كوديع سعادة وإيمان مرسال.

فى هذا الحوار، لا نحاور باحثة أجنبية تقف من الشعر العربى موقف الدارس البعيد، بل شاعرة أيضا اختارت أن تكون جزءًا من نسيجه، أن تدرّسه، وتدافع عنه، وتعيد قراءته بلغتها ومفاهيمها ومشاعرها.

نفتح معها أبواب الأسئلة: عن اللغة والانتماء، عن التصنيفات العنصرية فى الجامعات الأمريكية، عن الشعر بوصفه مرآة إنسانية، وعن الترجمة كفعل وجودي. نقترب من رؤيتها الثقافية الشجاعة، ومن انحيازها الواضح لشعراء الهامش، وموقفها النقدى من المؤسسة، سواء فى الغرب أو فى الشرق.

● كيف بدأت علاقتك باللغة العربية؟

– دخلت إلى اللغة العربية عن طريق اللغات السامية المقارنة. ففى المرحلة الثانوية، درستُ عدة لغات مثل اللاتينية والألمانية، ومنها توجَّهتُ إلى الجامعة الكاثوليكية فى «واشنطن» بهدف التخصص فى التوراة والإنجيل، فدرستُ اللغة العبرية القديمة، واليونانية، والآرامية، والأكادية، والأمهرية، فأحببتُ اللغات السامية جميعها.

● كيف كانت تجربتك الأكاديمية آنذاك؟

– كان كل زملائى فى الكلية يدرسون دراسات عليا، وكنتُ أنا الوحيدة الطالبة فى الفرقة الأولى بالجامعة؛ لذا كانوا يدرسون أربع مواد فقط، بينما كنتُ أدرس ست مواد، نتشارك فى الفصول الدراسية نفسها. وكان ذلك مرهقًا جدًا بالنسبة لي، فكنتُ أظل فى المكتبة حتى الثانية صباحًا، وأعود إليها مرة أخرى فى السادسة صباحًا لإنجاز دراسة اللغات السامية المقررة عليّ. كان ذلك عبئًا نفسيًا ضخمًا منعنى حتى من النوم، فلم أستطع إكمال الدراسة.

● وماذا فعلت بعد ذلك؟

– بعدها توجَّهتُ إلى ولاية «واشنطن» لأدرس فى كلية صغيرة هناك الشعر والرسم، وتصعلكتُ لمدة عام فى الغابات الأمريكية من أجل دراسة الشعر الأمريكى الحديث، خاصة الشاعرات. وبعد التخرج من هذه الجامعة، حاولتُ أن أكون فنانة تشكيلية لمدة عام أو عامين، لكننى لم أحقق النجاح المطلوب. وفى هذه الفترة، عاودتنى الرغبة فى استكمال دراساتى فى اللغات، فعدتُ إلى دراسة اللغات السامية مرة أخرى، وقررتُ أن أدرس العربية. طُلب منى أن أختار بين دراسة اللغة العربية الكلاسيكية أو المعاصرة، لكن كان لديَّ إصرار على دراسة النمطين معًا.

أُخبرتُ باستحالة هذا الجمع، لأن هناك فصلًا صارمًا بينهما فى الجامعات الأمريكية، فرفضتُ هذا الفصل. ولم أستطع استكمال دراساتى لهذا السبب فى جامعة واشنطن بسياتل، فتقدمتُ بطلب للالتحاق بجامعة شيكاغو، وبدأتُ دراسة العربية مع اللغات السامية الأخرى. وكان سبب كل ذلك هو محبتى للشعر.

● هل تعرفين العبرية الحديثة؟

– لا أعرف العبرية المعاصرة، وإنما العبرية الخاصة بالتوراة. وقد اخترتُ جامعة شيكاغو، لأن برنامجها فى تدريس اللغات السامية كان الأفضل بين الجامعات الأمريكية. وربما كان هناك برنامج جيد جدًا فى جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس، لكننى اخترت شيكاغو لأن والدى كان طالبًا فيها.

● لماذا اخترتَ دراسة اللغة العربية تحديدًا من بين اللغات السامية؟

– وقع اختيارى على اللغة العربية من بين اللغات السامية الأخرى لأسباب عملية؛ فالجامعة منحتنى منحة تغطى جميع تكاليف الرحلة إلى القاهرة، فكيف أرفض ذلك؟ إذ لم تكن الجامعة، على سبيل المثال، تمنح منحًا كاملة لدراسة اللغة الأمهرية. حاولت أن أوازن بين الأمرين؛ فبعد أن كنت قد درستُ الشعر فى لغات أخرى، كالعبرية من التوراة، والشعر الأكادي، دخلتُ فى الشعر العربى الكلاسيكى فى العصر الجاهلي. ووجدتُ تشابهًا بين بنية الأشعار فى اللغات السامية عمومًا، فهى جميعًا مبنية على ظاهرة التوازي، وكانت تلك هى موضوع رسالتى للدكتوراه: "ظاهرة التوازى فى الشعر الجاهلي، مقارنة بالشعر العبرى والأكادي".

● هل صحيح أن اللغة العربية أُخرجت من تصنيف اللغات السامية فى الجامعات الأمريكية؟

– نعم، فى كثير من البرامج التعليمية فى الجامعات الأمريكية، يتم فصل اللغة العربية عن اللغات السامية القديمة. وغالبًا ما تُدرَج العربية ضمن ما يُعرف بـ"اللغات الشرقية"، إلى جانب الفارسية والتركية وغيرهما. هذا التصنيف يعكس توجهًا أيديولوجيًا أكثر منه علميًا. فهم لا يكتفون بفصل العربية عن السامية، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك، إذ يفصلون داخل اللغة الواحدة بين العربية الكلاسيكية والعربية المعاصرة. وهذا ما أرفضه بشدة، لأننى أرى أن هناك امتدادًا وتواصلاً بين المرحلتين. لا يمكن فهم الثقافة الحديثة دون الرجوع إلى جذورها الأدبية القديمة، وهذا مبدأ أتمسك به فى جميع دراساتي.

● ما سبب هذا الفصل برأيك؟

– أعتقد أن هذا الفصل مبنى على تصورات عنصرية مترسخة فى الذهن الغربي. فاللغات السامية تمت دراستها فى الغرب أساسًا بدوافع دينية، فى سياق محاولة إثبات الروايات الموجودة فى التوراة والإنجيل. الهدف الخفى كان تأكيد تفوق الغرب وشرعيته التاريخية والدينية. وإذا استمر تصنيف العربية كلغة سامية بجانب العبرية والآرامية والأكادية، فإن ذلك يعني، ضمنًا، الاعتراف باستمرارية ثقافية وتاريخية بين الديانات والأمم. وهم لا يريدون هذا الاعتراف، لأنه يتعارض مع الأيديولوجيا الغربية التى تضع المسيحية فى قمة الهرم، وتقصى ما عداها.

● لكن المتخصصين فى اللغات السامية يعرفون سامية العربية، أليس كذلك؟

– بالتأكيد، من يدرسون اللغات السامية المقارنة لا يساورهم شك فى أن اللغة العربية سامية، بل يعرفون ذلك تمام المعرفة. وأنا بدأتُ دراسة هذه اللغات فى "الجامعة الكاثوليكية" فى واشنطن، وهى جامعة دينية. درستُ على أيدى أساتذة كبار، كانوا قساوسة أو رهبانًا، ووجدت فيهم من أذكى العقول التى قابلتها فى حياتي. لم تكن لديهم تلك الأيديولوجيا الإقصائية، بل كانوا صادقين فى بحثهم.

● فهل ترين أن فصل العربية عن السامية يرتبط بالصراع السياسي؟

– نعم، أرى أن فصل اللغة العربية عن اللغات السامية جزء من مشروع أيديولوجي، يرتبط بشكل واضح بالصراع العربى الإسرائيلي، وبالرغبة فى إعادة تشكيل الوعى الأكاديمى والعام فى الغرب. فاللغة العربية هى الأحدث بين اللغات السامية، وهى الأقرب إلى العصور الوسطى، ولذلك تم وضعها إلى جانب التركية والفارسية، بينما أبعدت عن الدراسات الكلاسيكية الرومانية والإغريقية والفرعونية. هذا التصنيف فى جوهره ليس بريئًا، بل يعكس توجهًا يرغب فى إبقاء "الآخر" خارج المركز.

● ومتى بدأ اهتمامك الحقيقى بالمنطقة وباللغات القديمة؟

– كنتُ طفلة حين شاهدت حرب ١٩٦٧ على شاشة التلفاز، وقد ترك ذلك أثرًا كبيرًا فى وعيى المبكر. لاحقًا، شاركتُ فى مجال الحفريات فى سوريا وأنا فى التاسعة عشرة من عمري. كان أمامى خياران: إما أن أذهب إلى سوريا، أو إلى إسرائيل (فلسطين المحتلة)، لكن قيل لى إنه إذا أجريت دراسات فى إسرائيل، فلن أتمكن من العمل لاحقًا فى بلد عربي، والعكس صحيح. لم أكن أفهم تمامًا طبيعة هذا الصراع حينها. عملت صيفًا كاملاً فى موقع "تل الحديدي" الذى يبعد عن حلب نحو ١١٠ كيلومترات. أرسلت هناك من قبل أستاذى المتخصص فى العبرية والأكادية، الذى لم يكن له أى علاقة بالأمور الدينية، وإنما كان مهتمًا بفهم تاريخ المنطقة من منظور أكاديمى خالص.

●متى كانت أول زيارة لك لمصر؟

– بعد أربع سنوات، جاءتنى فرصة السفر إلى مصر عام ١٩٨٤م، فى منحة من الجامعة الأمريكية فى القاهرة، لدراسة الشعر الكلاسيكي، الذى تخصصتُ فيه تحت إشراف المستشرق الأمريكى الشهير ياروسلاف ستيتكيفيتش.

● تعرّفت على الوسط الثقافى المصرى بشكل مباشر فى هذه الزيارة؟

– صحيح فى تلك الفترة، تعرفتُ إلى شعراء مصر، وجلستُ معهم فى مقاهى القاهرة، من جيل السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات. وقد فتح الشاعر أحمد طه عينيّ على جوانب كثيرة من الوسط الأدبي، فى دوائره وتراثه وتاريخه ونصوصه ومعاركه. ولن أستطيع أبدًا أن أشكره على كل ما وفره لي، لأكوِّن مواقفى الخاصة مما لقيته فى عالم الأدب العربى هنا فى مصر.

●من ينظر إلى رحلتك الأكاديمية يجد أن الشعر ظل هو الثابت الوحيد الذى لا يتغير؟

– لأن الشعر، بالنسبة لي، من أقوى وسائل الإنسان فى التعبير عن إنسانيته. إذا كانت اللغة هى إحدى أهم الظواهر التى تميّز الإنسان ككائن، فإن الشعر هو، فى رأيي، أعظم ظاهرة لغوية. أنا أحب الشعر، وأراه أعمق من النثر فى التعبير عن المشاعر، بل عن كل شيء. الشعر يذهب إلى الجوهر، إلى ما لا يُقال بسهولة.

● كيف وجدت مكانة الشعر فى أمريكا مقارنة بالعالم العربي؟

– حين أتيت إلى العالم العربى عام ١٩٨٤، فوجئت بمكانة الشعر فيه. اكتشفت أن الشعر هنا يحظى باهتمام حقيقى من الجمهور، وأن له حضوره الحى فى الحياة الثقافية. وجدت شعراء فى مصر لديهم شهرة تضاهى شهرة نجوم مثل "أمريكان أيدول" أو مايكل جاكسون فى جيلي. هذا أدهشنى وأسعدني.

فى المقابل، لم أكن على تماس كبير بالثقافة الأمريكية، لأننى منذ البداية اتجهت لدراسة اللغات والثقافات القديمة، ولم أحتك كثيرًا بالإنتاج الثقافى الأمريكى المعاصر. لكننى كنت أعرف بعض الأسماء المهمة فى شعر المرأة، مثل آن سكستون (١٩٢٤–١٩٧٤) وأدريان ريتش (١٩٢٩–٢٠١٢)، وأعرف أن المثقفين فى أمريكا يقدّرون الشعر، ويرونه جزءًا مهمًا من الأدب الإنجليزى والأمريكي.

ومع ذلك، فإن مكانة الشعر فى الثقافة الأمريكية محدودة جدًا؛ ربما لا تتجاوز ٤٪ من المشهد الثقافى العام. بينما حين جئت إلى مصر، كان الشعر يشكل ما لا يقل عن ٥٠٪ من الثقافة العربية، إن لم يكن أكثر. هناك اهتمام عام بالشعر فى العالم العربي، وهو جزء من حياة الناس، وليس مجرد نشاط نخبة مثقفة.

●لماذا اتجهت إلى دراسة الشعر الجاهلى فى بداية اهتمَامك بالأدب العربي؟

– اتجهت إلى الشعر الجاهلى فى البداية، وأرى أن هذا أمر طبيعى تمامًا، لأننى أتيت من خلفية أكاديمية تركز على اللغات السامية القديمة، فكيف لى أن أقفز مباشرة إلى الشعر العربى الحديث؟ كنت قد أحببت الشعر السامى القديم ودرست الشعر العبرى فى التوراة، خصوصًا فى أسفارها الشعرية. كما درست على يد الأستاذ ياروسلاف ستيتكيفيتش (١٩٣٨–٢٠٢٠)، وكان متخصصًا فى الأدب الجاهلي، وإن كان أحيانًا يتناول عصورًا شعرية أخرى. وعندما بدأت فى دراسة الشعر العربي، لاحظت وجود ظاهرة "التوازي" فيه، وهى نفس الظاهرة التى وجدتها فى الشعر العبري، ومن هنا بدأت فكرة أطروحتي.

●ما أكثر ما لفت انتباهك فى الشعر العربى الجاهلي؟

– أكثر ما جذبنى هو عالمه السحري. أنا أحب كتب وأفلام الخيال العلمي، وكنت أرى الشعر الجاهلى كأنه "باب سحري" يفتح لك عالمًا متكاملاً، له قواعده ومنطقه الخاص، لكنه مختلف تمامًا عن عالمك المعاصر. الشعر الجاهلى غنى جدًا؛ فيه تفاصيل دقيقة عن الحياة البدوية ونمط العيش القديم، وهو أمر لا نجده بالعمق نفسه فى قصائد العصور اللاحقة. القصيدة الجاهلية تنبع من ثقافة بدوية أصيلة، وتملك قدرة مدهشة على بناء عالم متكامل فى ذهن القارئ.

● كيف يمكن للمرء ألا يُفتن بهذا العالم؟

ما الذى تعلمته من دراستك لبنية القصيدة العربية القَديمة؟

– تعلمت أن فهمى لجماليات الشعر بلغتى الأصلية مختلف تمامًا عن فهمى لجماليات الشعر العربى القديم. فالبنية الثلاثية التقليدية للقصيدة العربية – النسيب أو الوقوف على الأطلال، ثم وصف الطريق أو الرحلة، وصولاً إلى الغرض الأساسى من القصيدة – ليست مجرد قالب شكلي، بل هى مفتاح لفهم عبقرية الشاعر وتفرّده. الفعل الشعرى يتم داخل هذا الإطار، لا خارجه، ومن خلاله يُظهر الشاعر مهارته. هذه البنية لم تكن عائقًا أمام الإبداع، بل كانت من أهم أسباب استمرارية القصيدة وتواصلها الحى بين الأجيال.

حوار: د. عبدالكريم الحجراوي

«كما يموت الناس مات» إعادة تدوير للتراث



د. عبدالكريم الحجراوي

فى العام ٢٠١٣ وأنا جالس فى حضرة أستاذى الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجي، جاءنا نعى أحد الشخصيات العامة، فقال وقتها الحجاجي: «كما يموت الناس مات». أعجبتنى الجملة كثيرًا، ورأيت فيها فيضًا من الشاعرية والبساطة فى آن، وقرأت مقطعًا من قصيدة أمل دنقل «مقتل القمر»

فكما يموت الناس.. مات!
وجلست
أسأله عن الأيدى التى غدرت به
لكنه لم يستمع لي
..... كان مات!

وقتها فاجأنى الحجاجى أن تلك الجملة ليست لأمل دنقل؛ وإنما اقتبسها من الشاعر عبدالمنعم عواد يوسف، فى قصيدة قالها فى رثاء صديق له

وكما يموت الناس مات
لا، لم تَنُح أرضٌ عليه ولا تهاوت شامخات
لا، لم تشيعه الطيور إلى القبور.. مولولات
وكما يموت الناس مات

شاعرية متدفقة تجرى بانسيابية فى نهر الشعر، لا تملك إلا أن تغرف غرفة بيديك؛ ليدب سحر الشعر فى كيانك، تلك الجملة التى سنكتشف الآن أنها ليست لأمل دنقل، ولا لعبدالمنعم عواد يوسف، وإنما جملة قالتها امرأة عربية فى العصر الجاهلي، لابنها الشاعر الذى سألها: كيف مات والده وجده؟ فقالت ببساطة: «كما يموت الناس ماتا» عبارة تقرّ حقيقة واقعية يعلمها كل الناس، لا تقدم جديًّا من الناحية المعرفية، حتى صياغتها اللغوية أيضًا تتمتع بالبساطة نفسها، مما يدفعنا إلى السؤال: من أين إذًا تأتى كل هذه الطاقة الجمالية لهذه العبارة، التى تصلح أن تقال شعرًا أو فى غير الشعر؟ علمًا بأن المرأة آنفة الذكر، قالتها لأول مرة، لم تكن شاعرة، وقالتها فى سياق كلام عادي.

يذكر صاحب الأغانى أن الشاعر قيس بن الخطيم بن عدي، الشاعر الجاهلى اليثربي، قتل أبوه وجده، فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطالب بثأر أبيه وجده فيهلك، فعمدت إلى كومة من تراب عند باب دارهم، فوضعت عليها أحجارًا، وجعلت تقول لقيس: «هذا قبر أبيك وجدك»، فكان قيس لا يشك فى ذلك الأمر، ونشأ قيس قويًا شديد الساعدين، فنازع يومًا فتى من فتيان بنى ظفر، فقال له ذلك الفتى: «والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدك، لكان خيرًا لك من أن تخرجها علي».

فقال قيس: «ومن قاتل أبى وجدي؟»

قال الفتى: «سل أمك تخبرك».

فأخذ قيس السيف، ووضع قائمه على الأرض وذُبابه بين ثدييه، وقال لأمه: «أخبرينى من قتل أبى وجدي».

قالت أم قيس: «ماتا كما يموت الناس، وهذان قبراهما بالفناء».

فقال قيس: «والله لتخبرننى من قتلهما، أو لأتحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري».

فقالت أم قيس: «أمّا جدك فقتله رجل من بنى عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك، وأما أبوك فقتله رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر».

فقال قيس: «والله لا أنتهى حتى أقتل قاتل أبى وجدي».

فقالت أم قيس: «يا بنى إن مالكًا قاتل جدك من قوم خداش بن زهير، ولأبيك عند خداش نعمة هو لها شاكر، فأته فاستشره فى أمرك، واستعنه يعنك».

وبالفعل أعانه الرجل، واستطاع شاعرنا فى ملحمة درامية مؤثرة تصلح لأن تكون قصة لمسلسل، أن يثأر ممن قتل والده وجده.

والشاهد من هذه القصة: أن تلك مقولة «كما يموت الناس مات» قد أخذها الشاعر عبدالمنعم عواد يوسف، باعتباره الأسبق فى كتابة قصيدته عن قصيدة أمل دنقل، من التراث، واستطاع أن يوظفها شعريًّا بشكل مميز جماليًّا.

المشهد
العدد 340 – السنة الرابعة عشرة - الثلاثاء 15 يوليو 2025 م الموافق 20 محرم 1447 هـ

قالت العرب

«انتظري الفكرة، لا تنتظري المفكّر. انتظري القصيدة، ولا تنتظري الشاعر. انتظري الثورة، ولا تنتظري الثائر. المفكّر يخطئ، والشاعر يكذب، والثائر يتعب.»

محمود درويش (1941-2008)



اعتبر الكاتب الذي لا يحمل موقفًا كالماء المالح

سليم كتشنر: أتعرض للتهميش والتجاهل

التكريم من المهرجان القومى بمثابة أنبوب أوكسجين ينقذنى من الموت اختناقًا نتيجة الحصار المضروب حولِي

فى لحظةٍ فارقة من مسيرةٍ مسرحية امتدت لعقود، أعلن عن تكريم الكاتب والمسرحى سليم كتشنر فى المهرجان القومى للمسرح المصرى فى دورته الثامنة عشر ليمنح الضوء المستحق لتجربة استثنائية ظلّت تعمل بصمت وإصرار على تخليق مسرح ملتزم، يحمل قضايا الناس، وينحاز إلى الهامش، ويقاوم التهميش والنسيان.

بهذه المناسبة، يأتى هذا الحوار كوثيقة حية تضيء جوانب من مشروع كتشنر الإبداعي، وتُقارب رؤيته للمسرح والسياسة، ولغة العرض، وإشكاليات الإنتاج، وأثر السلطة والرقابة. لا يتحدث كتشنر بوصفه مجرد مبدع مكرَّم، بل كمثقف عضوى يرى فى الكتابة التزامًا، وفى المسرح وطنًا، وفى الكلمة موقفًا.

من يكتب مسرحًا لا علاقة له بالخشبة يتعرض للفشل الذريع



خلال تسلم إحدى الجوائز عام ٢٠١٢



أحد أعمال سليم كتشنر

متمسك بالمسرح وأحبه وأفخر أننى كاتب مسرحى لا سيناريست، فالمسرح وطنى وبلادي، وإن جارت عليّ عزيزة

يمضى بنا الحوار عبر منعطفات سيرته، من خروجه عن المسار الأكاديمى التقليدى إلى انغماسه الكلى فى الخشبة والكتابة، ومن تأثيرات المسرح المصرى والعالمى على نصوصه، إلى معاركه مع مؤسسات الإنتاج والرقابة، متوقفًا عند تلك اللحظات التى شعر فيها بالخذلان، وتلك التى تمسّك فيها بالحلم، رغم كل شيء.

طوالِ مسيرته، قدّم سليم كتشنر مشروعًا مسرحيًا متماسكا منحازًا للإنسان المهمَّش، متكئًا على لغة مسرحية تمزج بين الفصحى والعامية، وعلى خيال سردى يستدعى الأسطورة والحكاية الشعبية فى مواجهة الواقع المعتم. فاز بجائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٩ عن نصه «وما زالت الأرض تدور»، وكتب نحو عشرين نصًا مسرحيًا من أبرزها: «طقوس الخيانة»، «الناس الزرق»، «المهان»، «الأراجوز»، «أحلام الفتى الضائع»، «عنتر زمانه ضاع»، «البيضة والحجر»، «مربط الفرس»... وهى نصوص تتراوح بين الكوميديا السوداء، والدراما السياسية، والمسرح الشعبى ذى الطابع الأسطورى والاحتجاجي.

إلى جانب ذلك، رفد المكتبة العربية بعدد من الكتب النوعية المهمة، منها:

«مسرحيون فى الحركة الوطنية»، فضلًا عن عمله فى جمع وتحقيق التراث الشعبي، كما فى كتابه «سيرة مار جرجس» و«حكايات مصرية من القنال:- يوميات المقاومة الشعبية» و «الأنثروبولوجيا فى المسرح المصرى الرمز والتأويل»، وجاءت المؤلفات تأكيدًا على التداخل الخلّاق بين العمل الميداني، والبحث النظري، والإبداع الدرامي، بالإضافة إلى جملة من السيناريوهات التى كتبها للتلفزيون المصري.

هذا الحوار ليس مجرد مناسبة لتكريم ماض مستحق، بل شهادة على مسيرة لم تكتمل بعد، وعلى كاتب ما زال يكتب، ويسأل، ويحلم.

● ما الذى دفعك لترك دراستك فى التجارة والتفرغ للمسرح؟ ما الذى أغراك أولا: الخشبة أم الكتابة؟

لم أكن بالوعى الكافى كى أتوجه للدراسة فى أكاديمية الفنون، ومضيت فى مسار خاطئ. لكن حبى للفنون كان مبكرًا، فمنذ الدراسة الابتدائية وأنا أهتم بالرسم والقراءة. كنت أترك دروسى وأقضى الوقت فى ممارسة الرسم فينهرونى ولا أستجيب. واليوم كنت أتمنى لو كنت فنانًا تشكيليًا لا أتعرض لرقابة أو سلطة تصادر أفكارى وتشوهها. أيضًا لا نستطيع أن نفرق بين الخشبة والكتابة. فمن يكتب مسرحًا ولا علاقة له بالخشبة يتعرض للفشل الذريع. أغرتنى الخشبة والكتابة للخشبة معًا.

● من هم الكتاب أو المخرجون الذين أثروا فى تكوينك المسرحي؟ وهل ترى نفسك امتدادًا لجيل معين أم حالة مستقلة؟

تأثرت كثيرًا بجيل الستينيات من القرن الماضي: نجيب سرور، ألفريد فرج، محمود دياب، ميخائيل رومان، وأعتبر نفسى امتدادًا لهم، ومستقلا فى نفس الوقت، ائتلافًا واختلافًا مع نصوصهم مع تغير الواقع الاجتماعي. والمسرح العالمى أيضًا قرأته، بل الأدب العالمى بشكل عام. وفى هذا المجال أود أن أشير هنا إلى أن كتاب اليسار الأمريكي: آرثر ميلر، تنيسى ويليامز، إدوارد ألبي، ويمكننا أن نضم إليهم يوجين أونيل إذا انتزعناه من خضم المسرح التعبيرى الذى ينتمى إليه، بسبب الوعى الطبقى فى نصه «الغوريلا» أو «قرد كثيف الشعر». كل هؤلاء تميزوا عن كتاب يسار الكتلة الشرقية، لأن وجودهم فى قلب التوحش الرأسمالى أتاح لهم النفاذ إلى عمق المأساة. كانوا قابضين على الجمر، فعبروا فى نصوصهم عن ذلك بشكل رائع.

● ما المسرحية الأقرب إلى قلبك كمتفرج لا ككاتب؟

نص «أورشليم أورشليم» أو «طقوس الخيانة» الذى يظهر فيه المخلص على خشبة المسرح فى جرأة لم يشهدها المسرح المصري.

● ما أكثر جملة كتبتها وشعرت أنها تختصر رؤيتك للعالم؟

«ما قادك شيء مثل الوهم» من نص «موت فهلوى الحي». وهى جملة دالة على أهمية الوهم فى حياتنا. الفرق بين الحلم والوهم خيط واه. والوهم يجعلنا نعيش فى سلام وطمأنينة، بينما حلمك ربما ينغص عليك حياتك.

● هل تعتقد أن تجربتك المسرحية الواسعة نالت التقدير النقدى الذى تستحق؟

فى البدايات اهتم بى كبار النقاد، وبعد رحيلهم خفت هذا الاهتمام لأن الأجيال الجديدة غير مؤهلة لمناقشة مضامين مهمة، وكل ما يهمهم هو الشكل أو الفورم المسرحى ومفرداته. وفى العموم أتعرض للتهميش والتجاهل، ولا أدرى إن كان هذا مقصودًا أو عفويًا.

● فى مسيرتك الطويلة، هل شعرت بأن المسرح خذلك فى لحظة ما؟ أو أنك خذلته؟

علاقة المثقف بالسلطة علاقة شائكة ومتغيرة من آن إلى آخر، فمن الطبيعى أن يخذلنى المسرح فى بعض فترات حياتي. ففى التسعينيات من القرن الماضى منعنى القائمون على مسرح الثقافة الجماهيرية من التعامل لمدة خمس سنوات من ٩٣ إلى ٩٧، وهى الفترة التى أنجزت فيها خمسة مسلسلات أطفال فى التليفزيون المصرى وثلاثة أفلام تليفزيونية. ثم عدت للمسرح بعد انقضاء السنوات الخمس. أنا متمسك بالمسرح وأحبه وأفخر أننى كاتب مسرحى لا سيناريست، المسرح وطنى وبلادي، وإن جارت عليّ عزيزة.

● هل لديك طلاب أو كتاب شباب تعتبرهم امتدادًا لتجربتك أو يحملون الروح ذاتها؟

بشكل مباشر لا. لكن كثيرًا ما أقابل شباب المسرحيين، فيحدثونى عن تأثرهم بمسرحي، وبعضهم يخوض امتحانات أكاديمية الفنون بمقاطع من نصوصي، وهكذا.

● عملت مخرجًا فى فرق الثقافة الجماهيرية قبل أن تتفرغ للكتابة، كيف كانت تلك التجربة؟ وكيف شكلت رؤيتك لاحقًا كمؤلف مسرحي؟

أخرجت للمسرح ثلاثة عروض: شهرزاد لتوفيق الحكيم، وملك الشحاتين لنجيب سرور، والعادلون لألبير كامو، فى عروض متميزة جذبت الجمهور إلى مسرحي، واهتم المسرحيون بهذه التجارب. وكانت هذه الخبرة بمثابة الأكاديمية التى تعلمت فيها المسرح، وتميزت كتاباتى للمسرح بعد ذلك بأنها نصوص للخشبة، لأن هناك مسرحًا للقراءة فقط ولا يصلح لخشبة المسرح، والفرق كبير.

● فى أعمالك مثلًا نجد انحيازًا واضحًا للهامش، وللغة الشعبية، والشخصيات المهمشة. لماذا هذا التوجه؟

أنا واحد من هؤلاء المهمشين، ولهذا أجيد التعبير عنهم بصدق ووعي، مدركًا عمق موقفهم التراجيدي. أيديولوجيًا أيضًا أنا ملتزم ومنحاز لهذه الطبقة، وأتبنى موقفهم والدفاع عنهم. ونصوصى صرخة فى فضاءات صلب القضية الوطنية.

● يتكرر فى مسرحك حضور مستشفى المجانين كمكان للشرفاء والعقلاء، فما سبب ذلك؟

السينما العربية قدمت نماذج كاريكاتورية لنزلاء مستشفى الأمراض العقلية، لكن الأمر مختلف تمامًا؛ فكلما ازداد الزيف فى المجتمع، ازداد عدد الشخصيات الحساسة والصادقة التى تفشل فى التعامل مع هذا الزيف، فتبدو خارجة عن نسق العلاقات فيه، ومن ثم ينعتهم الآخرون بالمجانين. هذا هو الأمر ببساطة. وتلجأ شخصياتى إلى مستشفى المجانين هربًا من هذا الزيف، والكذب، والخداع.

● تبدو شخصياتك المسرحية معلقة بين الواقع والأسطورة، بين الحكاية والصرخة. هل هذه سمة مقصودة أم نتيجة طبيعية لتجربتك؟

ثنائية الواقع والحلم تراوح مكانها فى معظم أعمالي، فالشخصيات تبث شكواها من واقع أليم، وحلم الخلاص يراودها. هى مزيج بين القصد والتجربة الطويلة، لأن حياتى لم تكن سهلة، فتجربتى مع الألم طويلة. ومن الطبيعى أن يكون إبداعى ملتصقًا بى لأبعد حد.

● كيف ترى العلاقة بين المسرح والسياسة؟ هل كنت تعتبر الكتابة موقفًا؟

الكاتب الذى لا يحمل موقفًا كالماء المالح لا يروي. أما السياسة، فهى حاضرة دومًا فى حياتنا. أم تقصد نصوصًا فى قالب الكبارية السياسي؟ المسرح والسياسة صنوان لا ينفصلان. عندما نقدم عروضًا مسرحية لا تهتم بقضايا الناس، تكون النتيجة هجر الجمهور للمسرح لأن موضوعاته لا تهمهم، وهى معادلة عادلة، ولكن المسرحيين غالبًا لا يعترفون بأخطائهم.

● لك إسهامات مهمة فى جمع وتحقيق نصوص شعبية مثل سيرة مار جرجس وحكايات من القنال. ما الذى قادك لهذا النوع من العمل؟ وهل تراه استكمالًا للمسرح أم فرعًا منه؟

ثقافة الكاتب لو كانت أصيلة، تفتح أمامه مسارات عديدة طموحة، وتؤدى إلى ارتياده لمناطق ربما كانت خافية عليه فى الماضي. لى إسهامات أيضًا فى كتب نظرية مثل كتاب «الأنثروبولوجيا فى المسرح المصرى الرمز والتأويل»، وكتاب "صفحات منسية فى الثقافة المصرية"، فضلًا عن كتاب "مسرحيون فى الحركة الوطنية" الذى نفد عند صدوره.

● هل تعتقد أن المسرح المصرى اليوم يعطى التراث الشعبى ما يستحقه من استلهام وجدية؟

فى الستينيات من القرن الماضى كان هناك تيارٌ لدعم هذا المسار، كتب على الراعى كتبه الثلاثة، وتوفيق الحكيم قالبَ المسرح، وثلاث دراسات متفرقة بعنوان «نحو مسرح عربي» ليوسف إدريس، وواكب هذه الدعوات نصوص مهمة فى هذا الاتجاه، مثل «الهلافيت» و«ليالى الحصاد» لمحمود دياب، و«حلاق بغداد» لألفريد فرج، استلهامًا من «ألف ليلة» وتجارب نجيب سرور... إلخ. واستغرق هذا التيار ربما جيلين أو أكثر، ثم أتى المهرجان التجريبى وقضى على هذا التيار لصالح الاهتمام بالأشكال الأوروبية للمسرح. وأنا لا أدعو إلى مقاطعة المهرجان، فهو مفيد فى الاطلاع على كل جديد، لكن المؤلفين والمخرجين الشباب أخذوا شوطًا طويلًا فى تقليد عروضه، وانصرفوا عن الدعوة لمسرح مصرى عربى فى شكله ومضمونه. وفى العموم، الاهتمام الآن يتمحور حول الشكل، ولا يتطرق لمضمون مهم أو عميق. وهذه مأساة المسرح المصرى الآن.

● لغتك المسرحية تمزج بين الفصحى والعامية، ● بين لغة الحياة ولغة المجاز. كيف تتعامل مع مسألة اللغة فى المسرح؟ وهل تعتقد أن العامية أكثر قدرة على التعبير عن الإنسان المصري؟

لغة المسرح تختلف عن لغة المقاهي، فالحوار فى النص المسرحى لا بد أن تتوفر فيه عدة شروط، والأهم أن يحمل الحوار مستويين: الأول لغة الحياة الواقعية، والثانى عميق وملغز وموح، يحتمل أكثر من تفسير. أما عن استخدام العامية والفصحى، فالقانون الحاكم أن المضمون يفرض شكله، والحوار جزء من الشكل. فلا يمكن مثلًا أن نعبر فى أجواء ريفية بالفصحى، أو أجواء تاريخية بالعامية، وهكذا.

● كيف تتعامل مع الرقابة الذاتية؟ هل راودك شعور بالخوف أو الحذر أثناء كتابة نصوصك التى تصطدم أحيانًا بالبُنى السياسية والدينية والمجتمعية؟

احتمال شعورى بالحذر، لكن الخوف مستبعَد. والنتيجة أننى الخاسر، فنصوصى تتعرض لحذف مخل من جهة الرقابة على المصنفات. كما أتعرض لخوف المخرجين من تناول نصوصي، والنتيجة أنهم يتداولون خمسة أو ستة نصوص فى الإنتاج، والباقى من نصوصى العشرين فى الأدراج لا يجد من يتحمس له. وبعض النصوص تُرفض من مديرى المسارح قبل إرسالها للرقابة، والنتيجة أن البيت الفنى للمسرح لا يُنتج نصوصى على الإطلاق. لا أتمتع إلا بالنشر، وعروض الثقافة الجماهيرية، والجوائز.

● فى زمن السوشيال ميديا والمنصات، ما مصير المسرح الورقي؟ وهل ترى أن الكاتب المسرحى فقد دوره أمام المخرج أو المنتج؟

المسرح الورقى وسيلة لإيصال النص إلى المخرج أو المنتج، فالمسرح فى أساسه على الخشبة، والقراءة أمر ثانوي. والعلاقة المباشرة بين الممثل والجمهور لن تتلاشى أمام السوشيال ميديا. أما دور الكاتب المسرحي، فعلى مر السنين يتحكم فيه المخرج والمنتج، فمساحة حريته محدودة إلى أبعد حد.

● حين تنظر اليوم إلى مسيرتك، ما المحطة التى تفتخر بها أكثر من غيرها؟ وهل هناك عمل تشعر أنه لم يأخذ حقه؟

مسيرتى كانت مستوية، لا طفرات فيها. أدفع ثمن أى نجاح من جهد وكد، ربما يكون زائدًا عن الحد. أما نصوصى التى لم تأخذ حقها، فكثيرة. فمثلًا نص «وما زالت الأرض تدور»، الحاصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٩، لم يخرج إلى النور حتى الآن. وفى العموم، كل نص متميز من نصوصى لا يخرج إلى النور، فقط نصوصى المتوسطة هى التى تنتشر.

● ما الذى يعنيه لك هذا التكريم فى المهرجان القومى للمسرح المصري؟

أنا فى حالة دهشة من هذه الخطوة. فلم أكن فى أى مرحلة من مراحل حياتى مدللًا من المؤسسات أو قريبًا منها. وعمليًا، التكريم بمثابة أنبوب أوكسجين ينقذنى من الموت اختناقًا نتيجة الحصار المضروب حولي.

● هل لديك مشاريع كتابية مؤجلة؟ وهل هناك نص تتمنى لو كتبته ولم تفعل؟

المشاريع المؤجلة عديدة، وأعطيك مثالًا عن نص بعنوان «فى وادى ظل الموت»، يناقش قضية القتل على الهوية، مثل قتل فتاة محجبة فى أحد شوارع لندن لكونها مسلمة، وقتل سيدة مسيحية فى شارع قاهرى من شخص مخبول، والأجواء المسرحية الحالية لا تتيح لى كتابة مثل هذا النص، فهو لن يخرج للنور كسابقيه.

لو عرضت عليك فرصة تحويل أحد أعمالك إلى فيلم أو مسلسل، أى نص تختار ولماذا؟

نص «الناس الزرق»، الذى يتعرض لحالة شاب جامعى يلجأ إلى التسول فى شوارع القاهرة، والنوم فى المقابر مع أشباهه من الضائعين. ونص «المهان»، الذى يعود فيه البطل من الدول العربية التى عمل بها محترق الوجه، ولا يتعرف عليه أحد نتيجة اشتعال الحروب فى المنطقة. ونص «أحلام الفتى الضائع»، الذى يتعرض بشكل كوميدى للمسخوط/ المسحوق الذى لا يجد له مكانًا بين الناس. والنصوص الثلاثة ذات بنية حيوية قريبة من بنية السينما.

● أخيرًا، ماذا تقول للشباب الذين يدخلون اليوم عالم الكتابة المسرحية؟

النصائح غالبًا لا تجدى نفعًا. ولكن نصيحتى تتركز فى ضرورة القراءة المستمرة. ثقافتك ستحدد موقفك من الإعراب.

أنا واحد من هؤلاء المهمشين، ولهذا أجيد التعبير عنهم بصدق ووعي

تلجأ شخصياتى المسرحية إلى مستشفى المجانين هربًا من الزيف، والكذب، والخداع

المسرح والسياسة صنوان لا ينفصلان. عندما نقدم عروضًا مسرحية لا تهتم بقضايا الناس، يهجر الجمهور المسرح

المهرجان التجريبى قضى على التيار الشعبى لصالح الاهتمام بالأشكال الأوروبية للمسرح

حاوره: د. عبدالكريم الحجراوي

سلامة صابر رئيس شركة أنابيب البترول:

لدينا نظام مراقبة للكشف عن أي تسريب أو كسر بالخطوط



يتمتع المهندس سلامة صابر رئيس مجلس إدارة شركة أنابيب البترول، بخبرة واسعة في مجال الهندسة الميكانيكية. حصل على بكالوريوس الهندسة من جامعة عين شمس في عام ١٩٩٣، وبدأت مسيرته المهنية عام ١٩٩٥ كمهندس في قسم الصيانة العامة بشركة أنابيب البترول ، ثم تم نقله للعمل بالتفتيش الفني حتى تولى منصب مدير إدارة. بعد ذلك، عاد إلى عمله في الصيانة العامة حيث أشرف على صيانه الطلمبات، وتولى منصب مدير عام مساعد في إدارة الصيانه . ثم تم ندبه ليكون مدير عام منطقة التبين. تلقى تدريبه على يد المهندس سعيد إسماعيل، الذي يُعتبر من الأسماء اللامعة فى مجال التفتيش الفنى في قطاع البترول وشركة أنابيب البترول. بعد ٤ أشهر من تعيينه ، أجرت المشهد معه هذا الحوار:

● ماهو الدور الرئيسي الذي تلعبه شركة أنابيب البترول في دعم قطاع الطاقة في مصر؟

– تعمل الشركة في مجال نقل وتخزين خام البترول من أماكن استخراجه إلي شركات التكرير وإعادة نقل المنتجات الناتجة من عمليات التكرير من الشركات إلي أماكن استهلاك الشركات الرئيسية مثل شركات التوزيع والتسويق الرئيسية مثل شركة مصر للبترول والتعاون للبترول التي تنقل المحروقات التي تستخدم في محطات توليد الكهرباء مثل المازوت والسولار ومسؤولين عن نقل المازوت وتغذية محطات الكهرباء التي تعمل بالمازوت.

بينما الشركة القابضة للغازات هي المسؤولة عن توريد الغاز لمحطات الكهرباء وشركة أنابيب البترول مسؤولة عن توريد وتوصيل خام منتج المازوت.

● ماهي أبرز المشروعات الجديدة التي تعمل عليها الشركة حاليا؟

– مشروع التحول الرقمي في العمليات والتحكم عن بعد (الإسكادا) لأنها تتمتع بشبكة خطوط يصل طولها ٦٣٠٠ كم ويهدف للمراقبة والتحكم المركزى فى الخطوط ومحطات التدفيع والمستودعات وباقى مكونات النشاط وكذلك تأمين خطوط الأنابيب ضد التسريب والتعديات وزيادة سرعة ودقة اكتشاف أماكن التعدى على شبكة الخطوط مما يساهم فى تأمين العمليات التشغيلية ودعم وسرعة اتخاذ القرار، واستدامة تأمين العاملين والعمليات والتعزيز المستمر لكافة ما يحقق التشغيل الآمن، ويعتبرهذا المشروع من أكبر المشروعات الذي تعمل عليها الشركة حاليا حيث يهدف الي تحقيق أكبر درجات التأمين والتحكم

● كيف تساهم هذه المشروعات في تعزيز كفاءة شبكة نقل البترول في مصر؟

– المشروعات التي ننفذها نسعي جاهدين علي رفع كفاءة الشبكة القديمة وعمل شبكة جديدة في أماكن لم يصل لها بترول ورفع كفاءة الشبكة الموجودة في الخدمة بعملية الفحص المتداولة بالفرشه الذكية وتحديد الأجزاء التالفة في الخطوط وهي عبارة عن كربون ستيل حديد بنمرر فيها فرش بتكنولوجيا عالية بتعمل علي فحص للخط من أوله لأخره وتحدد أماكن الضعف والتأكل في الخط ونجري له صيانة ونغير الأماكن التالفة من هذا الخط، وعمل مشروعات جديدة في أماكن استراتيجية والمشروعات القومية التي تنفذ في الدولة لكي تصل لها المنتجات البترولية في أقرب وقت.

● هل هناك خطط لانشاء خطوط أنابيب جديدة لتوسيع نطاق التوزيع؟

– الشركة ملتزمة بتوصيل المنتجات البترولية الناتجة عن شركات التكرير لجميع الأماكن والمشروعات القومية الجديدة علي مستوي جمهورية مصر العربية والأماكن التي يصعب عليها الوصول للخطوط ويوجد شركات أخري للنقل والتسويق مثل شركة النيل والسهام البترولية ومصرللبترول عن طريق السيارات واللواري الكبيرة

● ما هي التحديات التي تواجه تنفيذ المشروعات الجديدة، وكيف يتم التعامل معها؟

– لا يوجد مشروع ينفذ دون أن يواجه تحديات ولكن الشركة تمتلك خبرات في هذا المجال والحمد لله نستطيع أن نتغلب علي الصعوبات التي يمكن أن نواجهها ويوجد مجهود كبير من الشركة ونحاول ننفذ كل البرامج والخطط التي تضعها الهيئة بعد توجيهات الوزير وأكبر تحدي ممكن أن نواجهه هي المشكلة الأقتصادية والتمويل والدولار حيث أن المواد التي تستخدم نستوردها من الخارج لذلك يقابلنا معوقات في الاستيراد والتأخير فيها ولكن يتم حلها وكل المشروعات التي تطلب منا في التخطيط والمتابعة من الهيئة العامة للبترول ويتم تنفيذها.

● كيف تستخدم الشركة التكنولوجيا الحديثة لتحسين عمليات النقل والتوزيع؟

نستخدم بالفحص بالفرشاة الذكية ونؤهل كل معداتنا والمقومات التشغيلية للشركة لكي تتوءام مع أساليب النقل الحديث وأحدث تكنولوجيا في النقل عن خطوط أنابيب تستخدمها الشركة في مجال العمل .

● هل هناك خطط لتطبيق تقنيات الذكاء الاصطناعي أو التحول الرقمي في إدارة الأنابيب؟

– التحول الرقمي من أكبر المشروعات التي نفذت في قطاع البترول في منظومة نقل الزيت الخام والمنتجات حيث أن الاسكادا الخاصة بشبكة الأنابيب تشتمل على أجهزة القياس الآلي لمنسوب المستودعات RTG وإنشاء نظام قياس معدل السريان على جميع خطوط وإنشاء نظام المراقبة والتحكم والكشف بشكل أسرع عن التسريب بالخطوط وتطوير وتأهيل مركز المراقبة والتحكم الرئيسية والفرعية في كافة المناطق



*** خطط مستقبلية لمراجعة مسار الخطوط ومسارات بديلة للابتعاد عن الكتل السكانية**

● كيف تضمن الشركة تقليل الأثر البيئي لعملياتها ؟

– جميع مشروعاتنا قبل تنفيذها يتم دراستها من شركات متخصصة في مجال السيفتي مثل شركة بتروسيف بالأثر البيئي لإنشاء الخط ويتم دراسته علي أعلي مستوي دراسة فنية علمية ويتم تطبيق كل التوصيات التي تنتج عن هذه الدراسة .

● ماهي الإجراءات التي تتخذها الشركة للتعامل مع التسريبات أو الحوادث البيئية ؟

نتعامل مع الحوادث بأسرع الطرق ونتغلب عن الأثار الناتجة عنها بتأمين خطوط الأنابيب ضد التسريب والتعديات وزيادة سرعة ودقة اكتشاف أماكن التعدى على شبكة الخطوط مما يساهم فى تأمين العمليات التشغيلية ودعم وسرعة اتخاذ القرار، لاننكر بأنه يحدث تعديات علي الخطوط بالخطأ ونحاول زيادة مرات المرور علي مسار الخطوط والتواصل مع الجهات المعنية في الدولة وعمل كل التنسيقات اللازمة مع المشروعات القومية الجديدة للتعرف علي مسارات الخطوط لتفادي الحوادث

● ماهي رؤية الشركة المستقبلية لتطوير شبكة أنابيب البترول ؟

– مراجعة مسار الخطوط لدينا لأنها من مدد كبيرة وتغيير المسارات لكي نتفادي كل المعوقات مثل الطرق والكباري المجاري المائية ونبتعد عن الكتل السكانية ولو هناك كتل سكانية قريبة نعمل مسارات بديلة للخطوط مع فحص الشبكة بالكامل ومراجعتها لضمان أمان مسارات الخطوط وصيانتها .

● كيف تدعم الشركة موظفيها من خلال برامج التدريب والتطوير؟

أي منشأة صناعية لابد لها من التدريب لرفع كفاءة الموظفين، لذلك من أهم أولويات عملنا وجميع القطاعات الفنية والإدارية والخدمية الحرص علي تدريب الموظفين كل في مجاله بأحدث التقنيات والدورات ولدينا مركز تدريب متخصص داخل الشركة نقوم من خلاله بتدريب بعض الزملاء داخل قطاع البترول وفي حالة عدم توافرالخبرة الفنية لدينا نستعين ببعض المراكز المتخصصة في التدريب، ونحن بصدد ربط الترقيات الخاصة بالزملاء بعدد الدورات التدريبية الذين حصلوا عليها وتم إجتيازها

● هل هناك شراكات استراتيجية بين الشركة وشركات أخري محلية أو دولية؟

– يوجد شراكات عملاقة نتعامل معها في القطاع، خاصة شركة بتروجت وهي المقاول الرئيسي لقطاع البترول وأيضا يوجد شركتان في مجال الصيانة وتنفيذ المشروعات، شركة صان مصر وشركة بترومنت نتعامل معهما في تنفيذ كل أعمال المشروعات الجديدة. أما بالنسبة لأعمال الصيانة نحن نمتلك فريقا كاملا مدربا على أعمال الصيانة الخاصة بالشركة، وعندما يكون لدينا فائض في الوقت نجري صيانة داخل شركات قطاع البترول مثل تغيير بعض الخطوط وعملية الثقب علي الساخن ولدينا قطاع كبير من الكوادر في الإدارة العامة للتفتيش الفني، من مهندسين مدربين ونقدم خدمات التفتيش الهندسي والفني لأي شركة تطلبها .

● هل لديكم خطط طوارئ جاهزة للتعامل مع الكوارث؟

لدينا الإدارة العامة للسلامة والصحة المهنية وخطط لكيفية التعامل مع أي حوادث طارئة علي مستوي الشركة بالكامل، وأيضا لجان مشكلة من أكبر قيادات الشركة علي رأسهم رئيس مجلس الإدارة والاجتماع الفوري في حالات الطوارئ والعلاج الطارئ ومعالجة الأثار الطارئة.

● هل هناك إجراءات سلامة متبعة أثناء عملية النقل؟

– النقل لدينا عن طريق خطوط أنابيب البترول وهو يعتبر من أأمن وأرخص وسائل النقل لأنها خطوط تحت الأرض وننقل بكميات كبيرة لأنها محمية وليست معرضة لأى خطر إلا بعض الأخطار البسيطة مثل أن يحدث تعدي علي الخط أو كسر. غير ذلك لايوجد أي خطر مترتب علي النقل .

حوار: أمال عبدالله

المشهد
تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى

الإخراج الصحفى:
هالة سعيد - شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 340 – السنة الرابعة عشرة - الثلاثاء 15 يوليو 2025 م الموافق 20 محرم 1447 هـ

رداء جديد وهوية مفككة



بقلم: د. محمد مصطفى الخياط

لماذا نشعر أحيانًا أننا نحتاج للتغيير؟ لماذا يُصبح الأثاث الذى شاركنا ذكريات العمر قديمًا فجأة، والملابس التى اعتدناها غير مناسبة؟

أعادنى مقال الدكتور عبد الله الردادي،«لا تستغن عن ردائك القديم»، إلى ظاهرة «تأثير ديدرو»، نسبة إلى الفيلسوف الفرنسى دينيس ديدرو (١٧١٣-١٧٨٤)، المتخصص فى علم الأنثروبولوجيا .

كان ديدرو قد نشر مقالة مفادها أن اقتناء ممتلكات جديدة قد يؤدى بالفرد إلى دوامة استهلاكية تدفعه لاقتناء المزيد من المستلزمات غير الضرورية، لترتفع دورة الاستهلاك.

تروج شركات التسويق لمفهوم (التعبئة/الحشد Packaging) بمعنى أن حصولك على خدمة أو سلعة بعينها يجعلك تعيد النظر لا إراديًا فيما تملكه بين يديك من سلع وخدمات، تصبح قديمة فور امتلاكك للجديد، الأمر الذى قد يدفعك لاستبدال القديمة بأخرى حديثة تلائم ما حصلت عليه.

من هنا يلفت هذا المقال النظر إلى امتداد "تأثير ديدرو" إلى سلوكيات الأفراد فى علاقاتهم الاجتماعية والعملية.

تروج شركات التسويق لمفهوم (التعبئة/الحشد Packaging)

دعنا نضرب مثالاً توضيحيًا، تنشأ الأسرة المكونة من أب وأم وأبناء فى مستوى اجتماعى معين يُحدده مستوى الدخل وعنوان السكن وما يرتبط به من جيران وعلاقات اجتماعية وعادات وتقاليد، فالمقيم فى حيِ السيدة زينب مثلا يجد نفسه مرتبطا بشكل ما باحتفالات مولد عقيلة بنى هاشم فى الثلاثاء الأخير من شهر رجب، وما يرتبط به من حلقات ذكر وتلاوة، وكرنفالات اجتماعية تُمدُ فيها الموائد وتوزَّعُ الأطعمة على زوار المسجد، فإذا ما شاء الله لهذه الأسرة، لسبب ما، أن تنتقل للإقامة فى منطقة "جاردن سيتي"، التى لا تبعد أكثر من ٢ كيلومتر عن السيدة زينب، فإنها قبل أن تكتسب عاداتها الجديدة، سوف تعيد النظر فى عاداتها القديمة التى تربت عليها، لتصبح أقرب إلى تراث منها إلى واقع معاش يذكره أفرادها فى غبطة، ثم يتحول مع الوقت إلى تاريخ قد تضعُف معه روابطهم بجيرانهم القدامى، ليس بسبب البعد المكاني، فالمسافة جد قصيرة، ولكن بسبب النقلة الاجتماعية وما رافقها من عادات جديدة أسقطت عادات قديمة، حتى أنك لتجد تلك الأسرة تنفر من تصاميم ملابسها التى اعتادتها لعقود وتستبدلها بأخرى ذات سمت إفرنجى حديث، وربما طالت دائرة التغيير أيضًا تلك السيارة العتيقة كالحة اللون، وما تركته فيها الأيامُ من آثار، فإذا بها فجأة تلفت النظر بنشازها بين غيرها من ماركات حديثة تجذب الأنظار ببريقها وجميل تصميماتها، لتبدأ دورة استهلاكية تمحو القديم وتستبدله بجديد يكبدها الكثير من المال، وهكذا تنشأ هوة فاصلة بين هذه الأسرة وجيرانها القدامى، فى تطبيق لا إرادى لتأثير ديدرو.

ولكن الأمر لا يتوقَّف عند هذا الحد، فانتقال أحد أبناء هذه الأسرة التى انتقلت من السيدة زينب إلى جاردن سيتي، وحافظت على تماسكها، إلى أحد المجمعات السكنية الفاخرة أو السفر للعمل فى الخارج، سوف يجعله بدوره يعيد النظر فى علاقاته الأسرية، فيرضى عن هذا وينتقد ذاك، وربما تشرنق؛ وتلك طامة كُبرى.

ولعلك عزيزى القارئ وجدت أثرًا لتأثير ديدرو فى محيط عملك أصاب أولئك النفر الذين هبطت عليهم ثروة أو قُذف بهم إلى كراسى ذات شأن، فأعادوا النظر فى علاقاتهم بمحيطهم العملي.

وإذا كان قبول ديدرو بيجامة نوم فاخرة كهدية من أحد أصدقائه انتهى به الاستدانة بعد ما بَدَّلَ وغير ما حوله من أثاث وملابس وحتى مطبوعات، فَسَجَلَ ذلك فى مقالٍ منبهًا ومحذرًا بقوله "كنتُ أمتلك رداء نومى القديم، واليوم أصبحتُ عبدًا لردائى الجديد... احذروا دنس الثراء المفاجئ".



هل يفتح قانون الإيجارات الباب أمام تمديد مدد الرئاسة



بقلم: أحمد عادل هاشم

السرعة غير الاعتيادية فى خروج قانون الإيجارات من البرلمان،تثير تساؤلات فى ظل المناخ العام المحتقن فى البلاد على كافة المستويات، سواء ما يتعلق منها بالأمن القومى وإيغال العدو الصهيونى فى القتل ومشروع التهجير من غزة وإخلاء الضفة الغربية من الفلسطينيين بما يشكل تهديدا مباشرا لمصر، باعتبار أن الأرض المحتلة خط الدفاع الأول عن أمننا القومي، أو إذا ما كان الاحتقان المتزايد يتعلق بالحياة المعيشية ورزوح ملايين المصريين تحت خط الخوف والرعب من«بكرة» الذى يحل متواصلا بالغلاء والانتقام من المصريين بخدمات صحية وتعليمية مغشوشة وبالغة التوحش فى أسعارها.. المناخ المحتقن فى بلادنا يتزايد يوما بعد يوم فى الشارع حيث تجد العشوائية والبلطجة وتشويه الشكل الحضارى بباعة جائلين وأمناء شرطة لا حول لهم ولا قوة إلا بابتزاز المخالفين فى المرور، حتى كرة القدم باتت مصرفا للكراهية والاحتقان بين المشجعين .. لن أزيد عن حجم ونوع الاحتقان، فالكل بلا استثناء من أبناء الشعب المصرى يحيون فى مجتمع الاحتقان.

إيغال العدو الصهيونى فى القتل ومشروع التهجير من غزة وإخلاء الضفة الغربية

لذلك يحضر السؤال والبحث عن سر السرعة غير الاعتيادية فى إصدار قانون تم إخراجه دون قاعدة معلومات توضح حجم المتضررين والمنتفعين من تعديل القانون، ودون حلول عملية للأطراف المتضررة، اللهم إلا من وعود حكومية واهية بأنها لن تترك أسرة أو عجائز وأرامل ويتامى دون سكن.. تحت هذا السياق العام للاحتقان، يزيد البرلمان مصر احتقانا بأوامر حكومية ..لماذا؟

السيناريو الوحيد الذى يدخل العقل أن يكون السر فى ذلك تعديل المادة الدستورية المتعلقة بمدد انتخاب رئيس الجمهورية،وتعديلها لتصبح مفتوحة بدلا من مدتين، كما ينص الدستور، ولكى يتم فتح الباب أمام تعديل مدد الانتخاب، يتم حقن الشعب بالغضب الحاد، من خلال قوانين مثل تلك التى تشبه قانون الإيجارات القديمة، فيلجأ السيد رئيس الجمهورية، إلى رفض التصديق على القانون ويعيده إلى البرلمان مرة أخرى، فتنفرج أسارير ملايين الأسر من الشرائح المتنوعة للطبقة الوسطى، وتعلن تأييدها لأى اقتراح برلمانى لجعل مدد بقاء رئيس الجمهورية مفتوحة، خصوصا وأن أى محاولة للزج بمادة دستورية تفتح الباب أمام تجديد مدد الرئيس، فى ظل هذا الاحتقان والغضب الشعبى الذى يهدد الاستقرار الاجتماعي، مصيرها غير مضمون النجاح.

فى الدستور هناك قوانين مكملة، لابد من إصدارها، مثل قانون تنظيم وتداول المعلومات الذى بموجبه تكتمل البيئة التشريعية لمكافحة الفساد ومراقبة المؤسسات العامة، إلا أن هذا القانون لم ير النور، وربما يتم إصداره لاحقا تحت ضغوط «الاستثمار» لكنه قد يخرج بثلاث عاهات :لا يرى، لا يسمع، ولا يتكلم.

هناك أكثر من قانون حيوى وهام لضبط وتقويم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والخدمية فى بلادنا، ولم يبادر البرلمان، ولن يبادر، بمحاولة إصدارها، لأنه لم يتلق التعليمات.. عموما إذا رفض السيد الرئيس التصديق على القانون يمكن تقديم التهانى والتبريكات من الآن بإمكانية توليه مددا أخرى للرئاسة.

مارك كوكيلبيرغ: المشاعر الإنسانية لم تعد منطقة مقدسة والذكاء الاصطناعى ليس محايدا من حيث السياسة والسلطة

الذكاء الاصطناعى يتيح إمكانية التلاعب بالبشر

يستخدم هذا الكتاب «مدخل إلى الفلسفة السياسية للذكاء الاصطناعي» للبروفيسور «مارك كوكيلبيرغ» أستاذ فلسفة الإعلام والتكنولوجيا فى قسم الفلسفة الفلسفة السياسية بجامعة فيينا، جنبا إلى جنب مع فلسفة التكنولوجيا والأخلاق، بهدف فهم القضايا المعيارية التى يثيرها الذكاء الاصطناعى والروبوتات بشكل أفضل، وتسليط الضوء على القضايا السياسية الملحة والطريقة التى تتشابك بها مع هذه التقنيات الجديدة.

مصطلح «متشابك» يستخدمه كوكيلبيرغ هنا للتعبير عن الارتباط الوثيق بين القضايا السياسية والقضايا المتعلقة بالذكاء الاصطناعي. ومؤدى هذه الفكرة أن الذكاء الاصطناعى سار سياسيا بشكل فعلي. ووفقا له فإن المفهوم الموجه لكتابه «يتجلى فى كون الذكاءالاصطناعى ليس مجرد مسألة تقنية أو يتعلق بالذكاء فقط؛ فهو ليس محايدا من حيث السياسة والسلطة، ذلك بأن الذكاء الاصطناعى سياسى بكل معنى الكلمة». وفى كل فصل على حدة، يعرض هذا البعد السياسى للذكاء الاصطناعي. حيث يناقش كل فصل من الكتاب مجموعة معينة من المواضيع السياسية الفلسفية: الحرية، والتلاعب، والاستغلال، والعبودية؛ والمساواة والعدالة والعنصرية والتمييز الجنسي، وغيرها من أشكال التحيز والتمييز؛ والديمقراطية، والخبرة، والمشاركة، والشمولية؛ والحيوانات والبيئة والسلطة والانضباط والمراقبة والدستور الذاتى وتغير المناخ فى علاقته بما بعد النزعة الإنسانية والنزعة الإنسانية المتحولة. وتتم مناقشة كل موضوع فى ضوء التأثيرات المقصودة وغيرالمقصودة للذكاء الاصطناعى وعلوم البيانات والتقنيات ذات الصلة مثل الروبوتات.

يقول كوكيلبيرغ فى كتابه الذى ترجمه عبد النور خراقى وعبد الرحيم فاطمي، وصدر عن دار خطوط وظلال أن ترسيخ حوار بين فلسفة التكنولوجيا والفلسفة السياسية أضحى ضرورة ملحة، لا يمكن تجاوزها. وإن النهل من موارد الفلسفة السياسية والنظرية الاجتماعية، يمكننا، لا محالة، من مواصلة تطوير فكرة أن التكنولوجيا، وفى مقدمتها الذكاء الاصطناعي، سياسية فى عمقها. وإذا كانت السياسة وفلسفتها شأنا عاما، تتضافر جهود أفراد المجتمع للتفكير فيها سويا، فلا بد أيضا من «التفكير معا» فى سياسات الذكاء الاصطناعي، حتى لا تظل حبيسة الكتب وحكرا على الأوساط الأكاديمية. وإذا عجزت السلطة الفلسفية فى توجيه سلطة الذكاء الاصطناعى فسنتحول إلى ضحايا مكبلين بأغلال خوارزمياته، تخرب بنيات السلطة البشرية وتتجاوز مركزية الإنسان، وتكرس الظلم والتفاوت، والتمييز، وسلب الحريتين الإيجابية والسلبية. إننا أمام مفترق الطرق: إما أن نتصالح مع الفكر التكنولوجى وفلسفته ونوجهه أخلاقيا، فنسود، وإما أن نترك الحبل على الغارب، فتحل محلنا قوى غير بشرية اصطناعية فائقة الذكاء، تطالب "بحق المواطنة" كما يزعم أنصار النزعة الإنسانية المتحولة.

يشير إلى أن الذكاء الاصطناعي، غالبا ما ينظر إليه بأنه يقف بقوة إلى جانب التكنوقراط، بحيث يقدم إمكانيات جديدة لتوليد المعرفة حول الواقع الاجتماعى ويمكن للمرء القول أيضا بناء الواقع الاجتماعي. لقد سبق أن تم استخدام علم الإحصاء منذ فترة طويلة فى الحكم الحديث، غير أنه مع بروز التعلم الآلي، توسعت إمكانيات التحليل التنبؤي؛ إذ



إن«كولدري» و«ميخياس» (٢٠١٩) يتحدثان عن نظرية معرفية اجتماعية جديدة، يتم تسخيرها بواسطة الذكاء الاصطناعي؛ إن الذكاء الاصطناعي، يخلق قوة جديدة للتوجيه التكنوقراطى للمجتمع، وهو ما يتناقض مع المثل الديمقراطية، ويبدو أن الذكاء الاصطناعى هو مجال للخبراء، يتجاوز فهم معظم الناس، وفى هذا الصدد، صرح «باسكوالي» إنه من أجل التوزيع العادل للخبرة والسلطة، ينبغى تقديم حوافز للأفراد لفهم الذكاء الاصطناعي، وموارده، وإذا لم يحدث هذا، فقد نصبح معولين بشكل كامل على الذكاء االصطناعى والبيروقراطيين، الذين يستخدمونه للسيطرة علينا، لدرجة أن أنصار ما بعد النزعة الإنسانية مثل «هراري» يرون أن الذكاء الاصطناعى سيحكمنا فى المستقبل؛ ولكن إذا تركنا الخيال العلمى جانبا، فقد يكون بوسعنا أن نقول إننا محكومون بالفعل من قبل شركات كبرى، تستخدم الذكاء الاصطناعى للتلاعب بنا. خارج نطاق السيطرة الديمقراطية تماما. إن التساؤل حول من يجب أن يحكم، هو سؤال نظرى فقط لأننا محكومون بالفعل من قبل «غوغل،» و«أمازون،» وغيرهما من الشركات الكبرى؛ ومن هذا المنطلق، ثمة شيء مناهض للديمقراطية فى الذكاء الاصطناعى أساسا؛ فضلا عن ذلك، هل طبيعة المعرفة، التى يقدمها الذكاء الاصطناعى كافية لاتخاذ القرار؟ يمكن القول إنه ثمة فجوة، تتطلب الحكم البشرى والتداول الديمقراطي. إن طبيعة الذكاء، الذى يعرضها الذكاء الاصطناعي، غالبا ما تتناقض مع الذكاء الاجتماعى البشري،الذى يبدو ضروريا للخطاب السياسي، وصياغة المعنى الاجتماعى فى الديمقراطيات، ولكن هل يمكن للذكاء الاصطناعى أيضا، أن يدعم أشكالا أكثر ديمقراطية للحكومة والحكم، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف السبيل إلى ذلك؟ إننا نحتاج، قصد إغناء هذه النقاش إلى مزيد من التحقيق فى السؤال المركزى حول ماهية الديمقراطية، وما تقتضيه من معرفة.

ويؤكد كوكيلبيرغ إن ريادة الذكاء الاصطناعى للجنس البشري، هو فى كل الأحوال أمر خطير ومخالف للديمقراطية، وخطره هذا، لا يكمن فى أن الذكاء الاصطناعى الذى سيتولى المسؤولية، قد يدمر البشرية فحسب، بل يكمن أيضا فى أنه سيحكم، أو يدعى أنه سيحكم، بما يحقق المصالح الفضلى للبشرية. إن هذا الأمر هو مجاز خيال علمى كلاسيكى (انظر مثلا فيلم "أنا روبوت" أو سلسلة روايات "نيل آشر"؛ هذا، وهو يمثل خطرا وفقا لجميع مُثل الديمقراطية؛ فهو يدمر الديمقراطية الليبرالية، لأنه يدمر الحرية باعتبارها استقلالية للمواطنين، وفى نهاية المطاف، فهو يحرمنا أيضا من السياسة فى حد ذاتها، كما قال "دامنيانوفيتش" وهذا السيناريو، لا يمكن دعمه إلا من خلال تفسير خاص جدا لأفلاطون حيث يتصرف الذكاءالاصطناعى مثل ملك فيلسوف اصطناعى (ربما مقترنة بحجة نفعية حديثة تهدف إلى تعظيم المنفعة للإنسانية ككل أو بحجة من فلسفة "هوبز" هدفها بقاء البشرية والحفاظ على سلمها. يصبح القبطان أو قائد (حاكم) سفينة الدولة مثل الطيار الآلي، وربما يمكنه أيضا التنقل بين البشرية جمعاء وكوكب الأرض. إن مثل هذه الرؤى، تتعرض للانتقاد على نحو ملائم من قبل جميع النظريات الديمقراطية؛ وليس من الواضح أيضا ما إذا كان مثل هذا الذكاء الاصطناعي، سيحظى بسلطة فعلية، بغض النظر عما إذا كان من الصواب والعدل، أن يكون له مثل هذه السلطة.

ويلفت أن الذكاء الاصطناعى لا يقوم بمراقبتنا فحسب، بل يقوم أيضا بتنبؤات حول سلوكنا؛ ومن ثم، قد يصبح الذكاء الاصطناعي، وعلوم البيانات أدوات لأشكال جديدة من الشمولية، حيث يعرفنا الذكاء الاصطناعى بشكل أفضل مما نعرفه. وقبل أن نعرفه نحن؛ وكما قال "هراري" فى مقابلة مع مجلة "وايرد" لم تعد المشاعر الإنسانية، والخيارات الإنسانية منطقة مقدسة، إذ أصبح الآن من الممكن التلاعب بالبشر بالكامل: "لقد أصبحنا الآن حيوانات قابلة للاختراق"، وهذا يفتح احتمالات لشمولية الحكومات والشركات؛ بحيث يمكن استخدام المعلومات المكتسبة عن طريق الذكاء الاصطناعي، والتقنيات المرتبطة به للتلاعب بنا، والسيطرة علينا. ومن ثم، فإن التكنولوجيا تجازف بأن تصبح. إذا استخدمنا عبارة "أرندت" أحد أصول الشمولية. إن التحول من الديمقراطية إلى الشمولية، لا يحدث (فقط) لأن الفوهرر أو الرئيس يتولى السلطة، ويدمر الديمقراطية علانية، مثال عن طريق ثورة أو انقلاب، بل إن العملية أقل وضوحا وأبطأ بكثير من ذلك، ولو أنها لا تقل فعالية؛ وباستخدام الذكاءالاصطناعي، وغيره من التكنولوجيات الإلكترونية، ينتقل ميزان القوى ببطء إلى أيدى عدد قليل من الجهات الفاعلة القوية ـ سواء فى الحكومة أو فى الشركات ـ وبالتأكيد بعيدا عن الناس، هذا إن كانوا يملكون قدرا من السلطة أصلا. وعلى هذا المنوال، يعد الذكاء الاصطناعى أكثر من مجرد أداة، إنما يقوم بتغيير قواعد اللعبة، وعندما يتم تطبيقه فى المجال السياسي، فإنه يغير هذا المجال أيضا، مثلا، عندما يساهم فى خلق دينامية شمولية.



ويرى كوكيلبيرغ إن عواطفنا هى الأخرى تتم مراقبتها، ويتم تحقيق الدخل منها ويمكن استخدام تكنولوجيا الذكاء الاصطناعى نفسها لدعم الأنظمة الشمولية، أو للحفاظ على الأنظمة السياسية القمعية وأسطورتها، وصورها "على سبيل المثال، المدينة الفاضلة العنصرية"، على الرغم من أنه، يمكن للذكاء الاصطناعي، من حيث المبدأ، أن يوفر أيضا فرصا لدعم الديمقراطية. إن الكثير، يعتمد على كيفية رؤيتنا للديمقراطية وبالطبع رؤيتنا للسياسة. إن معظم الباحثين فى مجال الذكاء الاصطناعى وسياساته، يدعمون طريقة ديمقراطية وعادلة للبرمجة؛ ويظن بعضهم أننا بحاجة إلى مزيد من القيود والمسائل التنظيمية. إن التأثيرات القمعية ليست دائما وليست مقصودة عادة، على الرغم من أنه أحيانا يتم استخدام الذكاء الاصطناعى عن قصد، للترويج لسياسة عنصرية وقومية. ومع ذلك، ثمة أيضا تأثيرات إشكالية غير مقصودة. فقد يدعم الذكاء الاصطناعى الثقافات والأنظمة السياسية العنصرية والاستعمارية الجديدة من خلال خلق التحيز ضد أفراد وجماعات معينة، أو يساعد فى تهيئة الظروف للاستبداد أو الشمولية. وخذ بعين الاعتبار مرة أخرى حجة "نوبل" التى تفيد بأن خوارزميات "البحث"، وأنظمة التصنيف قد "تعزز العلاقات الاجتماعية القمعية". وللذكاء الاصطناعى إمكانية التحكم فى القرارات والأفكار والأفعال والعواطف عن قصد من أجل دعم نظام سياسى معين. وفى حالة الشمولية، قد يدعم الذكاء الاصطناعى وصول النظام المطلق إلى عقول الناس، وقلوبهم.

ويوضح أن فوكو جادل بأن السلطة تأتى فى شكل الانضباط والمراقبة؛ ففى كتابه المراقبة والمعاقبة يوضح أنه فى ظل السلطة التأديبية الحديثة، يتم استخدام الأفراد باعتبارهم أشياء وأدوات إذ يصبح الجسد سهل الانقياد ومطيعا ومفيدا. واستنادا إلى هذا الإطار، يمكن للمرء أن يجادل بأنه يتم إنشاء هيئات مطيعة، من خلال وسائل التواصل الاجتماعى المدعومة بالذكاء الاصطناعي، وتقنيات المراقبة، وما إلى ذلك. إن اقتصاد الاهتمام فى وسائل التواصل الاجتماعي، يجعلنا نتصفح وننقر مثل الآلات، ويتم وضع الأشخاص تحت المراقبة فى المطارات وبيئات مراقبة الحدود الأخرى. ويساهم الذكاء الاصطناعى أيضا فى إنشاء نوع جديد من "البانو بتيكون" الذى صممه الفيلسوف الإنجليزى "جيريمى بينثام" فى القرن الثامن عشر، فى البداية نوعا من هندسة السجون على شكل برج مراقبة مركزى يقع داخل دائرة من زنازين السجن ويستطيع الحراس، من البرج، رؤية كل سجين غير أن السجناء لا يستطيعون الرؤية من داخل البرج، مما يعنى أنهم لا يعرفون أبدا ما إذا كانوامراقبين أم لا. وبوصفه مفهوما تأديبيا، ينطبق "البانوبتيكون" على فكرة أن الناس يتصرفون كما لو كانوا مراقبين، دون معرفة ما إذا كان هذا هو الحال أم لا. وهذا شكل أكثر دقة من أشكال السيطرة: فهو نوع من التنظيم الذاتي. و"التكنولوجيا السياسية" وبالنسبة لـ "فوكو" شكل "البانوبتيكون" أو المراقبة الجماعية طريقة جديدة لممارسة السلطة: لقد كانت "اختراعا تكنولوجيا فى نظام السلطة "كما أشار إلى تصميم سجن "بنثام"، ولكن اليوم، يمكن فهم الذكاء الاصطناعى بوصفه يساهم فى جميع أنواع المراقبة الجماعية الأقل وضوحا على سبيل المثال فى سياق وسائل التواصل الاجتماعي.

ويضيف كوكيلبيرغ أنه باسم الأمن أو إجراءات مكافحة الإرهاب، قد يكون الذكاء الاصطناعى جزءا من أشكال «الحكومة الخوارزمية» التى تستخدم لممارسة سلطة الدولة بطريقة تفوض القرارات حول من هو ضمن المجتمع السياسى ومن هو خارجه. فحتى الديمقراطيات الليبرالية فى الاتحاد الأوروبي، تستخدم الذكاء الاصطناعى على نحو متزايد لمراقبة الحدود، ففى القرن الحادى والعشرين، عادت أشكال الحكم، التى اعتقد قراء «فوكو» أنها تنتمى إلى الماضي، والآن تم ترسيخها بواسطة الذكاء الاصطناعى وعلوم البيانات.

محمد الحمامصي